الخطاب الإعلامي حول قضية زواج الشيخ علي يوسف والسيدة صفية السادات
دراسة لغوية في ضوء نظرية بلاغة الجمهور

د. هدى عبد الغني إبراهيم باز
كلية الألسن، جامعة عين شمس

الملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة الخطاب الذي أعقب إحدى القضايا الاجتماعية التي أثارت ضجة في المجتمع المصري في أوائل القرن العشرين، وهي قضية زواج الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد بالسيدة صفية السادات كريمة الشيخ الأزهري أحمد عبد الخالق السادات بغير إذن وليها، بوصفه خطابًا إعلاميًا جماهيريًا، بُثَّ عبر قناة اتصال مقروءة هي الصحف المصرية المختلفة، أثار الرأي العام وأثَّر فيه. تقوم الدراسة برصد ما نُشر في الصحف المصرية حول هذه القضية بدءًا من خبر إعلان هذه الزيجة، مرورًا بتعقيب الشيخ السادات على هذا الزواج، وآراء ذوي الأقلام الصحفية مثل: الشيخ محمد رشيد رضا ومصطفى كامل، وردود فعل العامة التي رُصدت في بريد القراء في الصحافة المصرية، انتهاءً بردود الشيخ علي يوسف التي تشكلت متأثرة بهذه الاستجابات الجماهيرية، وذلك في إطار نظرية بلاغة الجمهور، مع الإفادة من معطيات نظرية أفعال الكلام، ونظرية وظائف اللغة لهاليداي Halliday، وبعض المقولات التداولية والحجاجية.

الكلمات المفتاحية :

بلاغة المخاطب، بلاغة الجمهور، علي يوسف، الخطاب، وظائف اللغة، أفعال الكلام، الأفعال الإنجازية

Media discourse about the Sheikh Ali Yossuf's marriage to Mrs. Safia Elsadat: A linguistic study in the light of audience rhetoric theory

Abstract:

This paper studies the discourse, which followed one of social issues that caused a stir in the Egyptian society in the early twentieth century; the issue of *sheikh Ali Yossuf* marriage to the daughter of *sheikh Elsadat* without his permission, as a mass informational discourse spread through readable communication channel (Egyptian newspapers) which arouse the public opinion and influence on it. This paper studies different reactions towards this issue spread in Egyptian newspapers. These reactions are reformed by the public responses. The study depends on audience rhetoric theory with Halliday's functions of language theory, speech act theory, and some concepts of pragmatics and argumentation.

Key words:
audience rhetoric, addressee rhetoric, Sheikh Ali Yossuf, discourse, language functions, speech act, illocutionary acts.

- **مقدمة:**

يتناول هذا البحث بالدراسة الخطاب الذي أعقب إحدى القضايا الاجتماعية التي أثارت ضجة في المجتمع المصري في أوائل القرن العشرين، وهي قضية زواج الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد بالسيدة صفية السادات كريمة الشيخ الأزهري أحمد عبد الخالق السادات بغير إذن وليها، بوصفه خطابًا إعلاميًا جماهيريًا، بُثَّ عبر قناة اتصال مقروءة هي الصحف المصرية المختلفة، أثار الرأي العام وأثَّر فيه. وستقوم الدراسة برصد ما نُشر في الصحف المصرية حول هذه القضية بدءًا من خبر إعلان هذه الزيجة، مرورًا بتعقيب الشيخ السادات على هذا الزواج، وآراء ذوي الأقلام الصحفية مثل: الشيخ محمد رشيد رضا ومصطفى كامل، وردود فعل العامة التي رُصدت في بريد القراء في الصحافة المصرية، انتهاءً بردود الشيخ علي يوسف التي تشكلت متأثرة بهذه الاستجابات الجماهيرية، وذلك في إطار نظرية بلاغة الجمهور، مع الاستعانة ببعض مقولات التداولية.

تهدف الدراسة إلى: بيان أثر المتلقين في تشكيل خطاب المرسل، والكشف عن الطرق التي استخدم بها الشيخ علي يوسف اللغة ليحقق التأثير والإقناع، ويكسب تعاطف الرأي العام معه ضد الشيخ السادات.

منهج الدراسة: تعتمد الدراسة على بلاغة المخاطب إطارًا نظريًا، مع الإفادة من معطيات نظرية أفعال الكلام، ونظرية وظائف اللغة لهاليداي Halliday، وبعض المقولات التداولية والحجاجية.

مادة الدراسة: تعتمد الدراسة على سلسلة من المقالات التي كتبها الشيخ علي يوسف ونشرها بالمؤيد بعنوان: "مسئلتنا [كذا] والشيخ السادات"، ومقالات الشيخ محمد رشيد رضا في المنار بوصفها رد فعل مؤيدًا، ومقالات مصطفى كامل في اللواء بوصفها رد فعل معارضًا، وعدد من مقالات عوام القراء المختارة من بريد القراء في صحف اللواء والمؤيد والمقطم.

أقسام الدراسة: تنقسم الدراسة إلى قسمين:

1. دراسة نظرية، وتتناول كلاً من:
   1.1. خلفية تاريخية عن قضية زواج الشيخ علي يوسف والسيدة صفية السادات.
   1.2. نظرية بلاغة المخاطب (مفهومها، وأصولها).
2. دراسة تطبيقية، وتتناول كلاً من:
   2.1. قضية زواج علي يوسف وصفية السادات بوصفها خطابًا جماهيريًا
   2.2. بلاغة الجمهور تجاه قضية الزواج.
      2.2.1. بلاغة الجمهور المحايد.
      2.2.2. بلاغة الجمهور المؤيد.
      2.2.3. بلاغة الجمهور المعارض.
   2.3. الوسائل البلاغية للتأثير والإقناع في خطاب علي يوسف.

1. القسم النظري

1.1. خلفية تاريخية

يعد علي يوسف (1863- 1913م) أحد أبرز رجال الصحافة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين؛ حيث أنشأ جريدة "المؤيد" لسان حال الحركة الوطنية المناهضة للاحتلال الإنجليزي في تلك الفترة.

ولد علي يوسف بقرية نائية في صعيد مصر تسمى "بلصفورة"، توفي والده بعد عام واحد من ولادته فتربى مع أخواله. درس العلوم الدينية وأتم حفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره، ثم انتقل إلى القاهرة في عام 1881؛ ليلتحق بالأزهر. وفي القاهرة حاول بالإضافة إلى دراسته في الأزهر أن يثقف نفسه بالقراءة في التاريخ والأدب والشعر، لكنه افتقر إلى تعلم اللغات الأجنبية، وحاول أن يعوض ذلك بقراءة الكتب المترجمة، والاطلاع على كل ما يكتبه الأجانب في المسائل المصرية. عمل محررًا في جريدة "مرآة الشرق" ثم تولى تحريرها سنة 1884، وبعد صدور قرار بتعطيل هذه الجريدة، أصدر مع زميله الشيخ أحمد ماضي جريدة "الآداب" سنة1887، وقد حققت انتشارًا واسعًا، وعرف الوطنيون من خلالها الشيخ علي يوسف، وصارت له شعبية كبيرة، وأصدر سنة 1889 جريدة "المؤيد" بمعاونة رجال الحركة الوطنية.[1]

يتبين من ذلك أن الشيخ علي يوسف تميز في هذا المجال، واستطاع أن يرقى بنفسه، ويصنع له مجدًا بعمله في مجال الصحافة واختلاطه بكبار رجال الدولة، حتى صار واحدًا منهم، وصارت له شعبية واسعة لدى عامة الناس وخاصتهم.

وكان ممن اختلط بهم وربط بينهما رابط ألفة ومودة الشيخ أحمد عبد الخالق السادات شيخ الطرق الساداتية ونقيب الأشراف، وكان الشيخ السادات يصحب ابنته صفية في تنقلاته، على غير عادة ذلك العهد، فقد كانت الفتاة تحتجب عن الرجال متى بلغت الحادية عشرة من عمرها، لكن عبد الخالق السادات لفرط حبه لابنته، ولإسرافه في تدليلها، خرج قليلاً عن العرف وألف أن

يصطحبها إلى مجالس الرجال الذين يرتبط بهم برباط الحب والمودة، وفي مقدمتهم علي يوسف الذي أعجب بها، وطلبها للزواج، فرحب الوالد بهذه الخطبة، وأحس بالفخر أن يكون صهره هذا الرجل العظيم الذي يتصدر رجالات الوطن، والذي يعلم القاصي والداني أنه صديق حميم للخديو حاكم البلاد. وتمت الخطبة في الآستانة، وبعد العودة إلى القاهرة أشار قوم على الشيخ السادات بأن يفسخ الخطبة ويعدل عنها؛ كيدًا للشيخ علي يوسف، ولينغصوا عليه حياته، وليتخذوا من ذلك ذريعة للحملة عليه والمساس به.[2]

ويرى فتحي رضوان أن "الإنجليز كانوا وراء هذا الفسخ لأكثر من سبب؛ فهم يكرهون علي يوسف لذاته، ولأنهم خصمهم، ولأن جريدته الوطنية تقف لهم بالمرصاد... فكانت المؤيد هي الصوت الوطني المؤيد للحركة الوطنية والمبشر بها، وكان علي يوسف صديقًا للخديو عباس، فكان الكيد له والعدوان عليه كيدًا للخديو ومساسًا به، وكانت إثارة قضية تتعلق بالشرع وكفاءة الزوجين والملابسات المتصلة بهذا الموضوع الحساس فرصة للنيل من الشريعة الإسلامية، وإثبات بعدها عن الأخذ بمبدأ المساواة بين الناس، والأخذ بفكرة تميز أبناء الطبقات الرفيعة عن أبناء العصاميين الذين بنوا أنفسهم بجهدهم وعملهم."[3]

وقد استجاب الشيخ السادات لهذه الوساوس بالفعل، فأخذ يماطل في تحديد موعد عقد القران، حتى قام علي يوسف وابنته بعقد القران بغير إذنه، في سابقة غير معهودة في ذلك الوقت.

فيذكر أحمد شفيق باشا في مذكراته أن من أهم حوادث عام 1904م قضية زواج صاحب المؤيد، فيقول: "في آخر ربيع الثاني سنة 1322م عُقد عقد السيدة صفية السادات على الشيخ علي يوسف بسراي الخرنفش بمنزل السيد محمد توفيق البكري وتولى الوكالة عن الزوجة الشيخ حسن السقا، فلما علم والدها السيد عبد الخالق السادات بذلك، رفع دعوى بالتفريق بين كريمته والشيخ علي يوسف بعدم أهليته لها... وفي جلسة 11 منه [أغسطس 1904] صدر الحكم ببطلان عقد الزواج لأسباب ذكرت في حيثيات الحكم، أهمها قيمة نسب الشيخ علي يوسف، والفارق بينه وبين السيد عبد الخالق السادات من حيث المنزلة. ولما كان السيد عبد الخالق السادات يركن في هذه المسألة إلى الشيخ راضي الكبير توصل الشيخ علي يوسف إلى استرضاء الأخير حتى أقنع الأول بقبول العقد ثانية للشيخ علي يوسف على السيدة صفية السادات، وقد تم ذلك."[4]

وقد بدأت وقائع هذه القضية بنشر جريدة المقطم لخبر الزواج على صفحاتها في الأخبار المحلية؛ "عقد أمس مساءً لسعادة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد على إحدى كريمات فضيلة الحسيب النسيب السيد عبد الخالق السادات بحضور جماعة من العلماء والأخصاء، فنهني العروسين ونتمنى لهما ولآلهما دوام الهناء والصفاء."[5]

ونشرت جريدة المؤيد في اليوم التالي في الأخبار المحلية أيضًا: "جرى بعد ظهر يوم الخميس الماضي عقد قران صاحب هذه الجريدة بإحدى كريمات حضرة صاحب الفضيلة الحسيب النسيب السيد عبد الخالق السادات في حفلة قاصرة على بعض العلماء والأخصاء وقصدت العروس الكريمة بعدئذ المنزل المعد لها في جهة الظاهر حيث تمت رسوم القران".[6]

لكن الشيخ السادات أرسل إلى صحيفة المقطم . التي كان لها السبق في نشر خبر الزواج . وغيرها من الصحف المصرية رسالة ينفي فيها موافقته على هذا الزواج، ويذكر أنه تم بغير علمه أو رضاه، مطالبًا الصحف بنشر رسالته على صفحاتها، متوعدًا الشيخ علي يوسف برفع قضية لفسخ هذه

الزيجة، وستورد الدراسة نص تلك الرسالة في الجزء التطبيقي منها إن شاء الله.

وقد رفعت القضية، وعقدت لها جلسات عديدة، كان فيها سجالات بين المدعي والمدعى عليه تتعلق بنسبهما وحرفتهما؛ لإثبات كفاءة الشيخ علي يوسف لمصاهرة الشيخ السادات؛ ومن ثم يكون تزويج ابنة السادات لنفسها بكفء لها بغير إذن وليها زواجًا صحيحًا لا يحق لأبيها فسخه، وفق المذهب الحنفي المعمول به في مصر في ذلك الوقت.

لكن وقائع الجلسات انتهت إلى الحكم بفسخ عقد الزواج والتفريق بين الزوجين، لعدم كفاءة الشيخ علي يوسف لها، فكان نص الحكم: "... وحيث إنه في هذه الحالة يكون عقد نكاح الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد بصفية بنت السيد أحمد عبد الخالق السادات حصل مع عدم كفاءة الشيخ علي للسيد أحمد عبد الخالق، فلهذه الأسباب حكمنا... بعدم صحة عقد زواجهما المذكور، وعدم جواز اجتماعهما." [7]

2.1. نظرية بلاغة الجمهور (مفهومها وأصولها)

أولى اللغويون منذ القدم عناية كبيرة بدراسة أحوال المخاطبين المختلفة (درجة اقتناعهم، ثقافتهم، لغتهم...) للتعرف على تقنيات اللغة التي يمكن من خلال توظيفها في الخطاب تحقيق إقناعهم والتأثير فيهم، ولكن أهملوا دراسة دور استجابة المتلقين في عملية إنتاج الخطاب، أو في تشكيل الخطاب. فأتت نظرية بلاغة المخاطب لتوجه العناية إلى المتلقي، وتبرز دوره في إنتاج الخطاب. فـ"تفترض بلاغة المخاطب أن الخطابات البلاغية الجماهيرية هي خطابات توظف اللغة لتحقيق أغراض بلاغية هي إقناع المخاطب/ الجماهير، والتأثير فيه. هذا الإقناع والتأثير قد يستهدفان تمكين منشئي الخطاب أو المستفيدين منه من السيطرة والهيمنة على المخاطب، وهو ما يعني أن منشئي هذه الخطابات يستخدمون اللغة بكيفيات معينة قد تتضمن التضليل والخداع؛ لتمكنهم من تحقيق السيطرة والهيمنة على المخاطب؛ أي التحكم في صياغة نسق معتقداته واتجاهاته وسلوكياته بما يجعله يعتقد ويتجه ويسلك وفقًا لمصلحة منشئي الخطاب التي ربما تتعارض مع مصالحه... الكشف عن الطريقة التي تستخدم بها هذه الخطابات اللغة لتحقيق أغراضها يمكن أن يقلل من قدرتها على تحقيق هذه الأغراض. وهو ما يعني أن وعي المخاطب بالكيفيات التي تستخدم بها الخطابات الجماهيرية اللغة يمثل خطوة أولى وضرورية لمقاومة سيطرة هذه الخطابات وهيمنتها." [8]

فالغاية الأهم لبلاغة الجمهور "هي تدريب الإنسان العادي على إنتاج استجابات بلاغية فعالة تجاه كل ما يتلقاه، تمكنه من مقاومة الخطابات المتلاعبة التي تستهدف تضليله والسيطرة عليه، وفضحها، وإنتاج خطاب بديل يخلو من التلاعب والتضليل." [9]

فتهتم نظرية بلاغة الجمهور بكشف المتلقين عن التقنيات اللغوية التي يسيطر من خلالها المرسلون عليهم؛ ليقاوموها؛ بل ليعيدوا باستجاباتهم تشكيل المرسل لخطابه، فيتحول دورهم من المتلقي السلبي إلى متلقٍ إيجابي يتأثر ويؤثر.

فالمخاطب لم يعد سلبيًا يأخذ ما يفترض أن الخطاب أو المرسل يريد إيصاله إليه؛ بل تخطى (قصدًا أو بغير قصد) وضعه بوصفه متلقيًا سلبيًا إلى وضعه بوصفه متلقيًا فاعلاً. [10] فالمتلقي يتأثر بما في الخطاب وبما يوحي به المرسل، ضمن قراءة لها خصوصيتها المتكونة من القارئ ومرجعياته، فمنتج الخطاب لا يحقق غايته الحقيقية من إنتاج خطابه إلا من خلال استجابة المتلقين لخطابه وردود أفعالهم حوله. [11]

وبالطبع فإن استجابة المتلقين للخطاب تتحكم فيها عدة عوامل فـ"الكلمة لا تحقق وظيفتها في المعنى إلا

من خلال السياقات اللغوية والثقافية التي تكون بين منتج النص ومتلقيه، والتي ينبغي أن تكون على درجة متقاربة، حتى يتسنى للنص تحقيق غاياته." (12)

كما أن "الحالة النفسية التي تحكم المتلقي في لحظة قراءة النص تمثل سياقًا نفسيًا يهيمن على عملية القراءة. وبذلك يحصر حالات التأويل والنظر للنص في أبعاد تلك الحالة وخصائصها كالحزن والفرح والغضب وغيرها." (13) فالسياق الثقافي والنفسي يتحكم بدرجة كبيرة في تشكيل استجابة المتلقي الذي بناءً على استجابته يعيد المرسل إنتاج خطابه ليحقق غاياته.

ويضع د. عماد عبد اللطيف لبلاغة المخاطب اهتمامين أساسيين؛ الأول بيداغوجي (تربوي)، والثاني أكاديمي. والاهتمام الأول امتداد للتصورات التقليدية للبلاغة؛ فيهتم بدراسة طرق إنتاج الخطاب (السلطوي وغير السلطوي)، ودور المتلقي في تشكيل هذا الخطاب. أما الاهتمام الثاني (الأكاديمي) فيهتم بالبحث في طبيعة العلاقة بينها وبين الممارسات المعرفية المختلفة كالبلاغة الإنشائية والبلاغة النقدية والتحليل النقدي للخطاب وغيرها؛ للتعرف على الخصائص اللغوية والبلاغية للخطاب (السلطوي وغير السلطوي)، وأغراضه واستراتيجياته وتقنياته، وأنواع المخاطبين واستجاباتهم ودورهم في عملية الاتصال. (14)

وهذا الاهتمام الأكاديمي لبلاغة المخاطب هو ما تُعنى به هذه الدراسة؛ حيث تربط بين بلاغة المخاطب وعدد من المقولات التداولية كأفعال الكلام ووظائف اللغة.

2. الجانب التطبيقي

2.1. قضية زواج علي يوسف وصفية السادات بوصفها خطابًا جماهيريًا

تمثلت بداية تحول زواج علي يوسف وصفية السادات من حدث اجتماعي عادي إلى قضية رأي عام في رد فعل السيد عبد الخالق السادات تجاه خبر زواج ابنته المنشور بجريدة المقطم؛ حيث كتب إلى المقطم وعدد من الصحف المصرية المختلفة رسالة نصها:

"حضرة محرر جريدة الأهرام الغراء اطلعنا على عدد المقطم 4652 الصادر في يوم الجمعة 15 يوليو الجار فوجدنا فيه جملة تتضمن أن الشيخ علي يوسف عقد زواجه مساء أمس على إحدى كريماتي بحضور جماعة من العلماء والأخصاء. وبما أن ذلك **غير صحيح** والحقيقة على ما علمت من الشيخ توفيق البكري أنه حضر بمنزل السيد البكري وأجرى العقد **بدون علمي ورضاي** وعلم أحد من الناس بل إنه لم يعلم أنه حضر ذلك العقد شخص من الأشخاص بناء على ذلك نطلب إدراج ذلك في جريدتكم الغراء في أول عدد يصدر تكذيبًا لذلك كله. مع إعلام حضراتكم أنه صار إشعار جهات الاختصاص بذلك، وسترفع الدعوى الشرعية غدًا بطلب التفريق وما يلزم. 15 يوليو 1904. كاتبه: السيد أحمد عبد الخالق السادات" (15)

ولما تأخرت الأهرام في النشر، أرسل إلى المقطم: "حضرات الأفاضل أصحاب المقطم الأغر.. اطلعنا على جريدة المقطم ومؤيد أمس، فوجدنا بهما ما مضمونه أنه قد صار عقد قران كريمتنا وتأهلها بصاحب المؤيد إلى آخر ما بتلك الجمل، وحيث إن ما ورد بها من حضور العلماء والأخصاء **يوهم** أن ذلك باطلاعنا ورضانا، مع أن ذلك **محض اختلاق لا حقيقة له**، لأن ذلك كان بمنزل السيد محمد توفيق البكري **بدون علمنا ورضانا**؛ ولذلك أبلغنا جهات الاختصاص بما يجب في أمثال ذلك. وسبق تحرر منا لجريدتي الأهرام والمقطم بتاريخ15 يولية بنشر ذلك في عدد أمس ولكنا لم نره منشورًا فلزم

ترقيمه لعزتكم. الأمل نشر ذلك بجريدتكم الغراء، واقبلوا فائق الاحترام. 17 يولية 1904" [16]

ونشرت جريدة اللواء الرسالة نفسها أيضًا، فيلاحظ من خلال الرسائل التي أرسلها الشيخ السادات إلى الصحف المختلفة أنه السبب في تحويل حادثة زواج عادية إلى قضية جماهيرية، لها مؤيدوها ومعارضوها ومراقبوها.

وعقب رسالة السادات نشرت الصحف (المقطم والأهرام واللواء) رسالة من أحد الفضلاء بإمضاء محفوظ تسرد تفاصيل واقعة الزواج من وجهة النظر المجابهة للشيخ السادات ليكون المتلقون على علم تام بخلفيات الزواج؛ فيصدرون أحكامهم بموضوعية بعد بيان أمر الزواج من وجهي نظر مختلفتين، وقد كان نصها:

"إنه لما **طال الأمر** في مسألة هذا الزواج مدة مديدة من غير أن يتم شيء، **عزم** أصحاب الشأن فيه **أن يتموه** بلا توقف على أمر فضيلة السيد السادات، **وأن يعقدوه** في بيت آخر، **فلما علم** سماحة السيد البكري بذلك **بادر وأخبر** السيد السادات به **ونصحه** بأن يحسم هذه المسألة بلا تردد، إما بمنع أو قبول، ثم قابله مرة أخرى وكلمه بهذا المعنى أيضًا، وقال إنه بلغه أنه يراد أن يكون العقد في منزله، فإذا لم يحتط لمنع ذلك وحضره عنده لا يمكنه أن يأباه حفظًا لكرامة السيد، ثم أرسل له بعد أيام الشيخ محمد راضي يشرح له المسألة بهذا التفصيل، ولكن يظهر أن السيد السادات **كان لا يصدق ما يقال** في هذا الأمر، **فلم يعطه ما يستحقه** من الأهمية حتى تم كما هو معروف." [17]

تعد رسالة الشيخ السادات إلى الصحف المصرية المختلفة هي الفتيل الذي أشعل القضية وحولها من أمر عائلي خاص إلى قضية رأي عام؛ حيث هدف من خلال منشوره الذي أرسله إلى عدد من الصحف المصرية إلى: التعبير عن رفضه للزواج، والتفريق بين علي يوسف وابنته، وإثبات عدم كفاءة علي يوسف لمصاهرته، وإثارة الرأي العام ضد علي يوسف لما له من مكانة وشعبية بين جمهور المتلقين. وقد استطاع بواسطة رسالته الموجزة (وسيلة اتصال لغوية) أن ينجز قوى أفعال كلامية illocutionary acts، وأن ينجز لازم أفعال كلامية perlocutionary acts، فما يحدثه المرسل طبقًا لقوله شيء ما يكون إنفاذه تامًا، ويمكن به حمل المتلقين على الاعتقاد والوصول بهم إلى الإقناع. [18] وقد حدد كلٌ من أوستين Austin وسيرل Searle أصناف الأفعال الإنجازية في:

"الإخباريات Assertives: والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية proposition يعبر بها عن هذه الواقعة. وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب...

التوجيهيات Directives: "وغرضها الإنجازي هو محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما...

الالتزاميات Commissives: وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم... بفعل شيء في المستقبل...

التعبيريات Expressives: وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص...

الإعلانيات Declarations: السمة المميزة لهذا الصنف من الفعال أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي." [19]

وبتحليل كلتا الرسالتين لبيان أغراضهما الإنجازية ونجاحهما في تحقيق تلك الأغراض نلاحظ أن:

هدف السادات من خلال نشر رسالته في الصحف وتوجيهها للرأي العام إلى: التعبير عن رفضه للزواج، وتحقيق التفريق بين الزوجين، زعزعة مكانة علي يوسف في نفوس الجماهير، وقد حاول تحقيق أهدافه من خلال توظيفه للإخباريات والالتزاميات والتوجيهيات.

فوظف الإخباريات في نحو قوله: "أجري العقد بغير علمي ورضاي"، "وحيث إن ما ورد بها من حضور العلماء والأخصاء يوهم أن ذلك باطلاعنا ورضانا، مع أن ذلك محض اختلاق لا حقيقة له لأن ذلك كان بمنزل السيد محمد توفيق البكري بدون علمنا ورضانا" لإنجاز أغراضه التواصلية؛ فينقل به وقوع الزواج على غير إرادته ورغبته، ويحقق من خلاله التأثير في المتلقين وإقناعهم بأن الزواج قد عُقد بدون موافقته وعلمه؛ فمن مكونات الفعل الكلامي "الفعل التأثيري" الذي "يشير إلى التأثيرات التي يمكن أن تكون للفعل الإنجازي في أفعال المتلقي، وأفكاره، ونظراته..." [20]، وقد نجح بالفعل في إثارة مشاعر الغضب والسخط في نفوس المتلقين ضد علي يوسف؛ لانتهاكه أصلاً دينيًا، وعرفًا اجتماعيًا ثابتًا.

ووظف الالتزاميات في نحو قوله: "وسترفع الدعوى الشرعية غدًا بطلب التفريق وما يلزم" فالغرض الإنجازي هنا هو إلزام السادات نفسه برفع قضية بطلان الزواج بغير موافقته.

ووظف التوجيهيات في نحو قوله: "نطلب إدراج ذلك في جريدتكم الغراء في أول عدد يصدر تكذيبًا لذلك كله"، "الأمل نشر ذلك بجريدتكم الغراء"، الغرض الإنجازي لهذه التوجيهيات غير المباشرة هو نشر الصحف تكذيب خبر الزواج، والتوجيهيات غير المباشرة قوتها الإنجازية ضعيفة.

فكل هذه الأفعال الإنجازية باختلاف قوتها وضعفها أسهمت في إنجاز لازم الأفعال الكلامية؛ بإثارة المتلقين عاطفيًا ضد علي يوسف الذي تسبب في أزمة اجتماعية أخلاقية بزواج فتاة بغير إذن أبيها، خارقًا جميع الأعراف المجتمعية السائدة.

كما يلاحظ من تحليل لغة السادات أنه حاول أن يوظف عددًا من الظواهر اللغوية التي يستطيع بها كسب المتلقين إلى صفه، بالتأثير فيهم وإقناعهم بفداحة جرم الشيخ علي يوسف الذي تزوج ابنته بغير رضاه، وهو الأمر الذي يعد كارثيًا في كل العصور، وخاصة تلك الحقبة التي كانت المرأة فيها مهمشة ومسلوبة الإرادة. وعلى الرغم من اتفاق الرسالتين في المضمون، فإن بعض العناصر اللغوية قد اختلفت، فقد أرسل إلى المقطم ولم تنشر، فأرسل إلى الأهرام، ومن بعدها المقطم مرة أخرى، من تلك الظواهر اللغوية التي حاول بها التأثير في المتلقين:

. قوله في الأهرام في سياق نفيه لعلمه بزواج كريمته: "غير صحيح" اكتفى بنفي صحة الخبر، وسرد الحقيقة، ومطالبة الجريدة بنشر تكذيب له، مع التوعد بإقامة دعوى قضائية للتفريق بينهما.

. قوله في السياق نفسه في الأهرام: "بدون علمي ورضاي"؛ حيث استعمل ضمير المتكلم المفرد "ياء المتكلم" بما يوحي بانكساره فور تلقيه الخبر، وشعوره بالخزي والعار من زواج ابنته بغير رضاه؛ مما يؤثر في المتلقين فيجعلهم يتعاطفون معه، بوصفه الشيخ الشريف عظيم القدر المصاب في ابنته. أما الرسالة الثانية في المقطم فعبر بقوله: "بدون علمنا ورضانا"، فيتضح فيها أنه قد استجمع قواه، وأفاق من آثار المصيبة التي حدثت في بيته، فتحدث عن نفسه بضمير المتكلم الجمع "نا الفاعلين"؛ ليعبر عن احتفاظه بعلو قدره ومكانته، وأن هذه الواقعة لم ولن تؤثر فيه.

. قوله: "يوهم" يوحي بكذب طبيعية الزواج، ويكشف عن أنه زواج غير عادي وغير صحيح.

. قوله: "محض اختلاق" ثم تأكيده بقوله "لا حقيقة له" يؤكد نفيه التام لعلمه وموافقته على الزواج.

يلاحظ أن الرسالة الثانية قد استجمع فيها الشيخ السادات قواه، وحاول العناية بصياغتها بألفاظ أكثر تأثيرًا وتعبيرًا عن موقفه من هذا الزواج.

ولما كان زواج الفتاة بغير إذن أبيها أمرًا شديد الخطورة ومخالفًا للأعراف الاجتماعية في أي عصر من العصور، وبخاصة تلك الفترة الزمنية التي

كانت أوضاع المرأة شديدة التردي؛ حيث كانت مسلوبة الإرادة وخاضعة لإرادة الرجل وسيطرته، كان خروج السيدة صفية على إرادة والدها أمرًا مستهجنًا ومثيرًا لاستياء عموم المصريين، وكان له سيئ الأثر على والدها وكرامته ومنزلته بين الناس، وهو الشيخ ذو القدر العالي والمقام الرفيع.

أما الرسالة المعارضة له بإمضاء محفوظ فيلاحظ فيها:

أنها وظفت إخباريات غرضها الإنجازي هو نقل الواقعة من وجهة النظر المضادة للشيخ السادات، الذي أثر في الرأي العام تأثيرًا بالغًا، ونال تعاطفهم وتأييدهم؛ ليحاول أن ينجز لازم أفعاله الكلامية فيثير المتلقين ضد الشيخ السادات العاضل لابنته، ويزيح اللوم والسخط عن الشيخ علي يوسف. فتتابعت الأفعال الكلامية للإخبار والتقرير بعضل الشيخ لابنته، ومماطلته لعلي يوسف، واستهتاره بحسم المسألة وتعليقها لأجل غير مسمى. ولكن الفعل التأثيري لهذه الأفعال الكلامية يبدو أضعف تأثيرًا في المتلقين؛ حيث لم يكشف كاتب الرسالة عن شخصه الذي قد يعطي لكلامه مصداقية عند المتلقين.

2.2. بلاغة الجمهور تجاه قضية زواج علي يوسف وصفية السادات

وضحت الدراسة من قبل أن من العوامل التي تتحكم في بلاغة الجمهور السياق الثقافي والحالة النفسية للمتلقين؛ ونظرًا لأن ثقافة المجتمع آنذاك كانت تنظر إلى المرأة نظرة دونية، وتسلبها حقوقها، وكان ما صدر عن الشيخ علي يوسف اختراقًا لعادات وثوابت في المجتمع، فقد سادت حالة من الغضب والسخط والذهول عند غالبية الناس. فانقسم الرأي العام إلى ثلاثة فرق؛ فريق التزم الحياد، ولم يعقب على أمر الزواج بالتأييد أو الرفض؛ بل عرض الرسائل ووقائع الجلسات بدون أي تعقيب أو إبداء رأي خاص، وتمثل في جريدة المقطم.

وفريق يهاجم الشيخ علي يوسف، ويرى أن ما فعله جريمة شنعاء، ستهدم كل الأعراف الاجتماعية والآداب المعروفة في المجتمع. وهذا الفريق تمثله جريدة اللواء لصاحبها مصطفى كامل باشا.

وفريق يدافع عن الشيخ علي يوسف، ويرى أنه كفء لابنة الشيخ السادات، وأن ما فعله صحيح شرعًا لا غبار عليه، وتمثل في مجلة المنار لصاحبها السيد محمد رشيد رضا.

2.2.1. بلاغة الجمهور المحايد:

انتهجت جريدة المقطم نهجًا واضحًا أقرته وصرحت به في أحد أعدادها، فقالت: "وردت علينا الرسائل والتلغرافات تترى أمس واليوم في مسألة سعادة صاحب المؤيد والسيد السادات وأكثرها مذيل بإمضاءات لا نعرفها ولذلك استصوبنا أن نقفل هذا الباب ونهمل نشرها طالبين من أصحابها عذرًا." (21)

وكانت في العدد السابق له قد عرضت رسالتين للقراء قائلة قبل نشرهما: "وردت علينا الرسائل والتلغرافات تترى من جميع أنحاء القطر المصري في مسألة سعادة صاحب المؤيد مع حضرة الحسيب النسيب السيد أحمد عبد الخالق السادات فأهكلناها ولم نشر إليها بكلمة؛ مراعاةً لخطة الحياد التي اختطناها لأنفسنا في هذه المسألة الإسلامية*، ولكن البعض عتبوا علينا ولاموا على إهمال رسائلهم، فعدوا ذلك تحيزًا منا وتقصيرًا في الخدمة العمومية، فلم يسعنا إلا إجابتهم إلى ما طلبوا شرط أن ننشر تلغرافاتهم ورسائلهم مذيلة بإمضائهم." (22)

على الرغم من اختلاف توجهات جريدتي المقطم والمؤيد؛ حيث إن المقطم تناصر الاحتلال الإنجليزي وتعادي التيار الوطني وعلى الأخص علي يوسف، فكان من المتوقع أن تهاجم علي يوسف لكنها

التزمت بخطة الحياد. ولعل سبب التزام جريدة المقطم سياسة الحياد تجاه هذه القضية هو موقف الحكومة الإنجليزية المؤيد له؛ فقد "رأت الحكومة البريطانية أن تقف في صف علي يوسف، وهو خصمها، لكي تضمه إلى جانبها نهائيًا، ولتزداد ضجة هذه الدعوى اتساعًا وشمولاً" [23].

وعلى الرغم من اشتعال هذه القضية في أعقاب دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة التي بدأت عام 1899 ولاقت هجومًا شديدًا، فإن كلاً من قاسم أمين والشيخ محمد عبده (مفتي الديار المصرية الذي كان المرجعية الشرعية لما أتى في كتابي قاسم أمين "تحرير المرأة 1899" و"المرأة الجديدة 1901") قد التزما الصمت التام تجاه هذه القضية؛ فلم يعلقا إطلاقًا بالتأييد أو المعارضة؛ حيث إن قاسم أمين لم يهدف بدعوته لتحرير المرأة إلى خروج الفتاة عن طاعة أبيها، وتزويج نفسها بغير إذن وليها.

لم ترصد الدراسة أثرًا للجمهور المحايد في تشكيل خطاب علي يوسف، فلعل تأثيره كان تأثيرًا سلبيًا؛ حيث كان من المتوقع لدى علي يوسف أن ينال تأييدًا واضحًا من مثل قاسم أمين وغيره من دعاة تحرير المرأة، لكنه لم يجد ذلك.

2.2.2. بلاغة الجمهور المعارض:

اتخذت جريدة اللواء موقفًا واضحًا تجاه القضية؛ حيث إنها رأت أن تزويج الفتاة لنفسها بغير إذن وليها أمرًا بالغ الخطورة على النظام الاجتماعي، وعلى الآداب والعادات. وكانت تتابع القضية، وتنشر وقائع جلساتها على صفحاتها، لكنها كانت تعقب على الأخبار التي تنشرها حول القضية برأي خاص، كما نشرت مقالات ورسائل للقراء تدين الشيخ علي يوسف، وتقدح فيه وفيما فعله.

وقد حاولت اللواء من خلال ما تنشره من مقالات ورسائل إنجاز وظائف عديدة للغة، وذلك عبر توظيفها عددًا من التراكيب اللغوية، و"هذه الوظائف على تعددها وتباينها آيلة إلى وظيفة أساس، وظيفة التواصل" [24]

وقد حدد هاليداي سبع وظائف للغة هي:

وظيفة نفعية Instrumental function: وهي إرادة أشياء مادية وطلبها.

وظيفة توجيهية Regulatory function: وهي التحكم في سلوك الآخرين.

وظيفة تفاعلية interactional function: وهي تبادل الخبرات وتقوية الروابط الاجتماعية.

وظيفة شخصية personal function: وهي للتعبير عن الذات.

وظيفة استكشافية heuristic function: وهي للاستعلام عن الأشياء.

وظيفة تخيلية imaginative function: وهي لتخيل عالم خاص وإن غير مطابق للواقع.

وظيفة إخبارية representational function: وهي لتصوير حدث أو موقف، أو نقل أخبار أو معلومات. [25]

ومما يبرز إنجاز اللواء للوظيفة الإخبارية أحد تعقيباتها على خبر سفر علي يوسف إلى الإسكندرية لمقابلة بطرس غالي نائب وزير الحقانية ليتدخل في قضيته: "وقد **أصبح انتقاد هذه المسئلة في جميع الأندية** شاملاً لوجهها؛ لأنها من **الضربات المؤثرة على الأخلاق الاجتماعية، وأقل ما فيها من المضار** فتح طريق جديد للفتيات اللاتي يحجم آباؤهن عن التسرع في زواجهن عندما يتقدم لخطبتهن غير الأكفاء، **وفي ذلك من الآلام للآباء ما يزيد أنينهم** من حين إلى حين." [26]

فقد أنجزها مستعملاً الجمل الخبرية التقريرية "قد أصبح...، لأنها من الضربات المؤثرة...، وأقل ما فيها من المضار...، وفي ذلك من الآلام..."، والعبارات التقريرية وسائل مباشرة لغاية ما، والسلوك الذي ينجز بصياغة عبارة تقريرية سلوك مجتمعي، فهي تدل على التواضع والاتفاق [27]، وقد تنوعت الجمل

التقريرية بين جمل فعلية وأخرى اسمية. وامتدت هذه الوظيفة الإخبارية لتصبح إقناعية عن طريق التأكيد بقد؛ حيث إن)قد ("حرف إخبار تكون مع الماضي للتحقيق" [28]؛ ليحقق مصداقية لدى المتلقين. كما استعمل التعليل "لأنها" ليبرر للمتلقين أسباب انتقاد قضية الزواج في المجتمع، ومهاجمة طرفيها فيه.

وامتدت لتصبح تأثيرية عن طريق توظيف الألفاظ الانفعالية المتعلقة بالقيم الأخلاقية "من الضربات المؤثرة على القيم الأخلاقية"، والألفاظ الانفعالية في أصل معناها "وفي ذلك من الآلام للآباء ما يزيد أنينهم"، فقد أراد بها التأثير في نفوس المتلقين بإثارة مشاعر السخط تجاه علي يوسف الذي لم يعبأ بعادات مجتمعه وأخلاقه، وإثارة مشاعر الشفقة والرثاء تجاه الشيخ السادات، الشيخ الشريف الذي غُرر بابنته.

"**ليست** الحادثة التي وقعت بين السادات وصاحب المؤيد من الحوادث العادية التي تمر بلا تأثر ولم تترك في نفوس المصريين، **وعلى الأخص المسلمين منهم، ألمًا وأثرًا، بل هي** من أهم المسائل الأخلاقية التي بنيت العادات، وحفظت الأنساب، وعلم الأبناء إطاعة الآباء..." [29]

أنجزت اللغة هنا وظيفة إخبارية بما قررته من حقائق (كما يراها الكاتب)، وذلك باستخدام الجملة الفعلية "ليست الحادثة... من الحوادث العادية"، والجملة الاسمية "بل هي من أهم المسائل الأخلاقية..."، وقد امتدت هنا أيضًا لتحقق وظيفتي التأثير والإقناع للمتلقين من خلال استعمال المركب العطفي "ألمًا وأثرًا" بما يحمله جزآه من دلالة انفعالية تثير في المتلقين مشاعر الحزن والأسف تجاه هذه الحادثة، كما أن اعتراضه بقوله "وعلى الأخص المسلمين منهم" يثير فيهم مشاعر الغضب لدينهم الذي (من وجهة نظرهم) قد انتهكت حرمة من حرماته بهذه الزيجة الفاقدة لأحد شروط صحتها. ومن خلال استعمال "بل" التي تكون للإضراب عما قبلها على جهة الترك للانتقال من غير إبطال [30]، فهو يقرر أن واقعة الزواج أثرت تأثيرًا كبيرًا في نفوس المصريين، ثم انتقل ليستأنف غرضًا جديدًا ينبه إليه ويقنع المتلقين به، وهو أن تلك الحادثة شديدة الارتباط بأخلاق المجتمع وعوائده وتقاليده، مما يعني أن السكوت عليها والرضا بها هدم لأساس أخلاقي يقوم عليه المجتمع.

"... **صحافي اعتلى** منصة الإرشاد والوعظ من خمس عشرة سنة، **طالما خط بنانه فيها النصائح الأخلاقية** التي لا تخرج من الواقع، حتى أنزلته الأمة منزلة شماء، وأسكنته مكانة علياء، وصار يشار في العالم الإسلامي إلى جريدته بالبنان، **ولكن** ما لبث أن **انقلب** على الحق، **واتخذ** المنهج الجديد بديلاً، **وارتكب** بذلك **عدة هفوات بعضها أعظم من بعض**." [31]

من خلال الوظيفة الإخبارية للغة حاول مصطفى كامل زعزعة مكانة علي يوسف في نفوس المتلقين عن طريق التفريق بين أقواله وأفعاله، وتنكيره لكلمة "صحافي" للتحقير، مع إسنادها للفعل "اعتلى" "اعتلى الشيء: قوي عليه وعلاه" [32] الذي يوحي بالاعتلاء والارتفاع قهرًا وغصبًا.

"لكننا نقول كلمة لصاحب المؤيد مدفوعين بشعورنا والرأي العام الذي لا يستطيع الكاتب أن يصف سخطه وكدره حتى اتخذ المسئلة موضوع حديثه... تلك الكلمة هي أنه **يجب على الصحافي** الواعظ الراشد أن يكون في كل أعماله مثالاً حسنًا، يحمل قلبًا كبيرًا ورأسًا عامرًا، وإذا كانت الناس تطمع في المال والجمال، **فهو يجب أن يطمع** قبل كل شيء في الشرف، ويحترم العادات القومية، وأن لا يجعل للشيطان على نفسه سلطانًا." [33]

أنجزت اللغة وظيفة شخصية تعبر عن استياء الكاتب والرأي العام من واقعة الزواج وذلك باستعمال الحال "مدفوعين"، والمركب العطفي

المكون من لفظين انفعاليين "سخطه وكدره"؛ ليؤكد الأثر السيئ لهذه الواقعة على عامة الناس وخاصتهم، وتأثيرها السلبي على مكانة علي يوسف في نفوسهم، وأخرى توجيهية تهدف إلى تبكيت علي يوسف، ونفي الصفات التي يوجهه إلى التحلي بها عنه "يجب على الصحافي الواعظ الراشد...، يجب أن يطمع قبل كل شيء في الشرف...".

كتب مقالاً بعنوان "دولة الجمال وغرام الشيوخ": "ذلك فلم أجد شيخًا عاقلاً يهوى، بل **وجدت الشيخ العاشق مريضًا مضطربًا مجنونًا**... ولكني **أطلب من الحكومة إمدادنا بالنفوذ حتى يمكن لنا القبض** على كل شيخ يقال إنه يهوى، **وإدخاله إلى المستشفى** قهرًا..." [34]

باستخدام الوظيفيتن الشخصية التي يعبر بها عن نظرته الشخصية للشيخ علي يوسف الذي أخرجه حبه لابنة الشيخ السادات عن وقاره، فسلك سلوكًا منافيًا لأحكام العقل والعرف (من وجهة نظر مصطفى كامل)، وقد استعمل الألفاظ الانفعالية في أصل معناها "مضطربًا، مجنونًا" ليوحي بمدى اتباع علي يوسف لهواه وتجنيبه لإعمال العقل. والوظيفة التوجيهية تبرز في قوله "أطلب من الحكومة إمدادنا بالنفوذ حتى يمكن لنا القبض على كل شيخ يقال إنه يهوى..."، حيث يحاول من خلالها مصطفى كامل التأثير في المتلقين وبث الخوف والقلق في نفوسهم من إمكانية أن تتكرر هذه الواقعة، ومن ثم انهدام القيم المجتمعية الثابتة.

من بريد قراء اللواء: فتاة تذكروقع خبرزواج الشيخ علي يوسف بصفية السادات قائلة: "... ونزلت علينا كالصاعقة، فإنها أزعجت السيدات في خدرهن، وربات الصون في حجورهن، فصرن يولولن على سيدة كريمة من سلالة سيد العرب والعجم، ويتبادلن عبارات الأسف والأسى على ذلك الفصل الذي سببه رجل نصب نفسه لأن يكون مثالاً تصدر عنه جميع الكمالات، وخصوصًا تأييد المبادئ النسائية التي تعودتها نساء الشرق، اقتات على هذه المبادئ الشريفة فجعلها هباءً منثورًا... أما ينبغي للشيخ أن يرعى الله فلا يفتات على حرمة رجل كالسادات." [35]

أنجزت اللغة في رسالة هذه القارئة وظيفتين إحداهما إخبارية ترصد بها رد فعل النساء تجاه زواج علي يوسف من خلال توظيفها للتشبيه "نزلت علينا كالصاعقة" لتوحي بالأثر الصادم له، وللأفعال الماضية التقريرية "أزعجت، صرن يولولن"، والألفاظ الانفعالية في أصل معناها "الأسف والأسى" لتوحي بمدى تألم النساء لهذه الواقعة، والألفاظ ذات الدلالة العامة التي أكسبها السياق معنى انفعاليًا "خدرهن، ربات الصون، سيد العرب والعجم"؛ حيث توحي باعتداء علي يوسف على الشرفاء وتجاوزه الحدود، فتثير في المتلقين مشاعر السخط تجاهه.

والأخرى توجيهية في قولها: "أما ينبغي للشيخ أن يرعى الله فلا يفتات على حرمة رجل كالسادات" وهو توجيه غير مباشر عن طريق استعمال "أما" التي للعرض [36] بغرض التعنيف والزجر؛ حيث تطالبه بمراعاة الله في النساء وفي أهاليهن؛ فلا يعتدي على حرماتهن، ويغرر بهن كفعلته مع ابنة السادات.

من بريد قراء جريدة المقطم: "**خابرت** صاحب المؤيد في الترفع عن الاشتراك بجريدته تشبهًا بغيري من **أهل الشهامة والشعور الحي؛ لتخليه** عن الخدمة العمومية، واشتغاله بقضاء مآربه الخصوصية، والجريدة مستمرة الورود، **فكتبت** إليه أخيرًا بمنعها، **وهذا إعلان آخر لسيادته بذلك**." [37]

تؤدي اللغة هنا وظيفة إخبارية عن طريق استعمال الأفعال الماضية "خابرت، كتبت"، والجملة الاسمية "وهذا إعلان آخر لسيادته بذلك" بهدف إقناع المتلقين بمقاطعة جريدة المؤيد والتوقف عن

شرائها وقراءتها، وقد حاول أن يقنعهم ويحفزهم على ذلك عن طريق الإتيان بمثال واقعي متمثلاً في نفسه؛ كي يتأسوا به ويقلدوه، وعن طريق التعليل لسلوكه هذا باستعمال "لام التعليل" في قوله "لتخليه عن الخدمة العمومية واشتغاله بمآربه الخاصة". ووظف المركب العطفي "أهل الشهامة والشعور الحي" ليؤثر في المتلقين ويدفعهم إلى المقاطعة عن طريق وصف من يقاطع المؤيد بأنه من أهل الشهامة والمروءة.

"**المسلمون** في الأقاليم في **حزن وبكاء** لما أصاب دينهم ومحاكمهم الشرعية بفعل صاحب المؤيد والحكومة، **وهجروا قراءة المؤيد**، وهم **يلتمسون من الحكومة** نصرة شريعتهم وإلا ساءت العاقبة." (38)

أدت لغة الكاتب وظيفة إخبارية برصدها رد فعل المسلمين في محافظات مصر المختلفة، وذلك باستعمال الجملة الاسمية التقريرية "المسلمون في الأقاليم في حزن وبكاء"، والجملة الفعلية ذات الفعل الماضي التي تفيد التقرير والتحقيق "وهجروا قراءة المؤيد"، فعن طريق الإخبار يحاول المرسل أن يؤثر في المتلقين بتوظيفه المركب العطفي "حزن وبكاء" الذي يحمل جزآه دلالة انفعالية تثير في المتلقين مشاعر الأسى تجاه دينهم، والسخط تجاه علي يوسف المتسبب في الإساءة تلك الإساءة، ويحاول كذلك إقناعهم باتخاذ موقفًا عمليًا وهو مقاطعة صحيفة المؤيد عن طريق تقريره لسلك الكثير من المسلمين لهذا السلوك. وأدت كذلك وظيفة توجيهية بتوجيه طلب غير مباشر للحكومة "وهم يلتمسون من الحكومة..." كي تتخذ موقفًا حاسمًا ضد الشخ علي يوسف، ومنصفًا للشيخ السادات.

كانت جريدة اللواء تمارس سلطة عاطفية ودينية لتؤثر في المتلقين، وتشكل خطابًا مضادًا أكثر دفاعية من علي يوسف في المؤيد.

انحصرت وظائف اللغة في الخطاب المعارض لعلي يوسف في الوظائف الإخبارية والشخصية والتوجيهية، وجميع هذه الوظائف اتسعت لتؤدي وظيفة تأثيرية إقناعية لتنجز غرضها التواصلي الرئيس وهو توجيه المتلقين لنبذ علي يوسف، ومقاطعة المؤيد.

2.2.3. بلاغة الجمهور المؤيد:

تناولت جريدة المنار القضية بموضوعية، ولم تربطها بعادات المجتمع وتقاليده، بل تحدثت عن الزواج بغير ولي، والكفاءة في الزواج من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.

كتب محمد رشيد رضا* في عدد 30 يوليو 1904م، في باب الفقه في أحكام الدين، بعنوان "الأولياء والكفاءة في الزواج"، عن حكم الشريعة الإسلامية في تزويج الفتاة نفسها بغير ولي، وعن مفهوم الكفاءة، وأورد عددًا كبيرًا من الأحاديث النبوية والآراء الفقهية التي توصل من خلالها إلى أن "الكفاءة ليست من أمور العبادات وإنما هي من مسائل المعاملات التي يحكم فيها العرف، ويستدل عليها بالقياس لأنها تابعة لمصالح الناس ورفع الضرر عنهم..." (39)، وقال في نهاية عرضه للأحاديث المختلفة: "**علمنا مما تقدم أن** السنة مضت باعتبار الكفاءة **بالدين والحرية والأخلاق واليسار**، وبهذا أخذ الكثير من العلماء في صدر الإسلام، وزاد أكثر العلماء **النسب والصناعة** واستدلوا عليهما **بما لا يصح من الأحاديث**، وبما يصح من القياس، فإنهم قالوا إن العلة في اعتبار الكفاءة رفع الضرر والعار، وقد كانوا يفاخرون بالأنساب... ولا يزالون يتعيرون بدناءة الحرفة والصناعة، **والعمدة في ذلك العرف**..." (40)

ثم ذكر أن "حكم هذه الكفاءة فهو وجوب تزويج الخاطب مع تحققها، واعتبار الولي عاضلاً للمخطوبة إذا امتنع من التزويج، ولها حينئذٍ أن تزوج نفسها من الكفؤ [الكفء] بدون رضاه **عند**

الحنفية، وإن كانت رشيدة، وليس له الاعتراض ولا طلب الفسخ، وعند غيرهم ترفع الأمر إلى القاضي فيأذن الولي البعيد بالتزويج إذا كان القريب هو العاضل، أو يزوجها هو... وإذا لم يكن الخاطب كفؤًا وزوجها الولي بدون إذنها او زوجت نفسها هي بدون إذنه جاز لها على الوجه الأول، وله على الثاني رفع الأمر للقاضي وطلب الفسخ؛ دفعًا لإيذاء التعيير، إلا أن يسكت الولي حتى تلد فإنه يبطل حينئذ حق الفسخ مراعاة لمصلحة الولد." (41)

أدت اللغة في نصوص الشيخ رشيد رضا وظيفة إخبارية تمد المتلقين بمعلومات مستمدة من الأحاديث النبوية حول مفهوم الكفاءة في الدين، لتمتد تلك الوظيفة الإخبارية إلى وظيفة إقناعية تخاطب عقول المتلقين بما تحمله من شواهد من الأحاديث ومن أقوال الفقهاء في المذاهب المختلفة، لتوجههم إلى صحة زواج الشيخ علي يوسف من ابنة الشيخ السادات بغير إذن ولها العاضل لها، ولتوضح لها كفاءة الشيخ علي يوسف لمصاهرة السادات، فاستعمل السلسلة اللفظية "الدين والحرية والأخلاق واليسار" ليوضح بها المقاييس المعتبرة للحكم بكفاءة الرجل لزوجته في الإسلام.

كما أوردت جريدة "المؤيد" عددًا من رسائل عامة القراء التي أبدت تأييدها للشيخ علي يوسف، ورفضها لما أتى به الشيخ السادات، ومن هذه الرسائل:

. "على أن **من تتبع** أقوال وكلاء الخصوم أمام المحكمة **تحقق** أن مسئلة زواج صاحب المؤيد **ليست المثال الذي يخشى سريانه**، فليس كل أب يقبل الخطبة ويقبض المهر ويأخذ الهدايا، ويظل على ذلك أربع سنوات، ثم يمطل في تنفيذ عقد الزواج كما مطل السيد السادات. فللمسئلة الحاضرة حكم، ولما يقوله المتحمسون حكم آخر." (42)

يقوم أحد القراء بدحض أقوال خصوم علي يوسف الذين يهاجمون زواجه خشية أن يصير عرفًا وعادة في المجتمع أن تتزوج الفتاة بغير إذن وليها، فتؤدي لغته وظيفتين الأولى توجيهية؛ حيث يحث المتلقين على تتبع أقوال شهود واقعة الزواج والمقربين من الشيخين حتى يستطيعوا إصدار أحكام صحيحة فيما يتعلق بهذه القضية، ومن ثم تطمئن نفوسهم ويقتنعوا أن حالة زواج علي يوسف من كريمة السادات حالة فردية خاصة قلما تتكرر؛ وقد استعمل في ذلك الشرط "من تتبع أقوال وكلاء الخصوم... تحقق...". والأخرى إخبارية يعلل فيها سبب حدوث تلك الزيجة وهو عضل الأب لابنته ومماطلته لخطيبها، وفيها طعن في الشيخ السادات بسرد أخطائه وسوء تصرفه مع الابنة وخطيبها.

قول أحد القراء في رسالة إلى المؤيد يجيب فيها عن أسئلة طرحها قارئ آخر ليثير أذهان المتلقين: "إذا كانت البالغات الرشيدات يعرفن أن حكم الله تعالى يمنحهن الزواج بمن ترينه أهلاً لهن، ويرين سيطرة الآباء واقفة لهن بالمرصاد، وأنهن إن تخطينها يومًا ما وزوجن أنفسهن بالأكفاء رددن إلى آبائهن قسرًا فينتقمون منهن كما يشاءون، **إلا تخور عزائمهن ويحولن عنان إرادتهن إلى طريق آخر غير طريق الزواج، فيكون الشر الوبيل على البيوتات العالية أضعافه على ما دونها**." (43)

تؤدي اللغة وظيفة إخبارية إقناعية؛ حيث وظف للإقناع حجة البرهان ذو الحدين وهي حجة منطقة يقصد بها "البديل الذي يقود إلى اختيار الأقل ضررًا أو يكره الخصم على اختيار واحد من بديلين ليسا . معًا . في مصلحته" (44)؛ وقد يكون هذا البرهان: حجة لحسن النية، تدفعنا إلى الاختيار الأقل ضررًا؛ مادامت وجهتا الدليل تقودان إلى النتيجة نفسها. أو حجة تسخيرية موجهة إلى حصر المنافس في وضعية يستحيل حلها موضوعيًا،

وإرغامه على قبول نتيجة استدلال بدفعه نحو بديله. (45)

وقد وظف البرهان بوصفه حجة تسخيرية عن طريق استعمال الاستثناء "إلا تخور عزائمهن ويحولن عنان إرادتهن إلى طريق غير الزواج" وظفه لحصر المتلقين في ذلك البديل غير الشرعي لتزويج الفتاة الراشدة لنفسها لكفء لها بغير إذن وليها العاضل، لإرغامهم على قبول واقعة زواج صاحب المؤيد، واستعمل فاء السببية لبيان نتيجة هذا السلوك غير الشرعي، وهو الشر الوبيل على البيوت كلها وعلى الأخص البيوت العالية الشريفة؛ ومن ثم يختار المتلقون البديل الأقل ضررًا هو زواج الفتاة الشرعي بغير إذن وليها.

قول أحد القراء يتحدث فيه عن تجسيم الباطل ودهانه بدهان من رياء الألفاظ الدينية وما هو من الدين، فيقول متحدثًا عن مسألة السادات وعلي يوسف:

"تلك المسئلة التي **لو كانت الأمة متمسكة بحقيقة الدين ما تعدت جدران المنازل**، ولكنها هي أمة من ضمن الأمم الإسلامية التي لا تريد أن تعتبر بالماضي لتكون في الأوهام الباطلة باسم الدين." (46)

تؤدي اللغة وظيفة شخصية يعبر من خلالها عن شعوره الشخصي تجاه الأمة الإسلامية المعاصرة بأنها تتحدث باسم الدين، وهي في واقعها ومعاملاتها بعيدة أشد البعد عنه، وتبرهن اللغة على ذلك عن طريق أدائها وظيفتها الإخبارية باستعمال الشرط "لو كانت الأمة متمسكة بحقيقة الدين ما تعدت جدران المنازل"، ولو هنا حرف وجوب لامتناع؛ لدخولها على موجب بعده منفي (47)، فهي تدل على امتناع تمسك الأمة بحقيقة دينها؛ لامتناع تعدي واقعة الزواج جدران المنزل، فالأصل في أي زواج وما يرتبط به من اتفاقات أو خلافات أنه أمر أسري عائلي خاص لا ينشر للرأي العام. وقد استعمل الشرط لتنبيه المتلقين إلى بعد أمتهم عن الدين، وتشبثها بقشور خارجية تبعد عن جوهر الدين الحقيقي. وفي استعماله للوصف بالنعت "الأوهام الباطلة" دلالة على بطلان تلك السلوكيات الصادرة باسم الدين.

قول أحد القراء معلقًا على قول محامي السادات إن الصحافة حرفة دنيئة لأنها تعد من الجاسوسية التي نهى الله عنها بقوله تعالى: "ولا تجسسوا": "...كان يجب على القضاء أن **يسد فم ذلك المحامي عن الخصم** عندما قال إن حرفة الصحافة دنيئة، ونحن **نتمنى أن يكون هذا الصوت لا يتعدى أسوار الحدود المصرية، وأن يجتهد كل مصري في إخفاء مثل هذا التصريح**، الذي لو لثمه القضاء الشرعي لثمة النسيم **لقيد عارًا على الأمة الإسلامية لا يمحوه الدهر**؛ إذ **كيف يتعرض لمساس حرفة صارت من أشرف الحرف** من يوم خلق الله العالم. ومن ذا الذي يظن أن محاميًا شرعيًا متفقهًا في الدين الإسلامي **يجاهر بمثل هذه المسبة**، التي إن وافق عليها القضاء وكتبها زعيم الاحتلال (بالطبع) في تقريره السنوي الذي ينشر في أنحاء العالم، ماذا يعتبرنا العالم، وماذا هم يقولون عنا... **بل ما زاد الطين بلة إلا أن يأتي هذا المحامي بآيات قرآنية ليثبت أن الله تعالى نهى نهيًا قاطعًا عن الصحافة**... ألم يك ذلك كله من باب طلاء الباطل باسم الدين." (48)

أدت اللغة هنا وظيفة شخصية تعبر عن انفعالات المرسل التي يريد أن يبثها في المتلقين وينقلها إليهم عن طريق استعماله للألفاظ الانفعالية في أصل معناها "عارًا، المسبة"، والألفاظ التي أكسبها السياق معنى انفعاليًا "لا يمحوه الدهر، ما زاد الطين بلة" ليوحي بفداحة فعل المحامي، ومدى إساءته إلى الإسلام والمسلمين بادعائه أن الصحافة حرفة دنيئة نهى عنها الإسلام. وأدت كذلك وظيفة توجيهية في قوله "كان يجب على القضاء أن يسد فم ذلك المحامي عن الخصم"، " نتمنى أن يكون

هذا الصوت لا يتعدى أسوار الحدود المصرية، وأن يجتهد كل مصري في إخفاء مثل هذا التصريح"، وذلك عن طريق استعمال الأمر غير المباشر للقضاء وللمتلقين باستعمال "كان يجب...، نتمنى أن..." ليوحي بمدى الخزي والعار الذي يلحق بالأمة المصرية إذا شاع عنها تلك النظرة المتدنية للصحافة. وفي الاستفهامات التعجبية " كيف يتعرض لمساس حرفة صارت من أشرف الحرف...، ماذا يعتبرنا العالم، وماذا هم يقولون عنا..." إثارة لمشاعر الخجل في نفوس المتلقين من تلك الفضيحة، ولمشاعر السخط تجاه المتسببين في تلك الفضيحة الموافقين عليها.

يلاحظ أن السيد محمد رشيد رضا، على الرغم من توظيفه لحجة السلطة (استشهاده بالسنة النبوية وآراء الفقهاء)، فإن خطابه لم يكن سلطويًا يجبر المتلقين على اعتناق ما يطرحه من أفكار، إنما كان يترك المجال حرًا للمتلقين، فيعملوا عقولهم ويتخيروا ما يرونه صوابًا. على العكس منه كان مصطفى كامل سلطويًا في خطابه ومتعصبًا لرأيه، وينتقي من بريد القراء ما هو موافق لسياسة الجريدة تجاه تلك القضية، فينشره على صفحاتها. ويبدو أن مصطفى كامل، إلى جانب فداحة واقعة الزواج وغرابتها في تلك الحقبة، كان متأثرًا بما بينه وبين علي يوسف من اختلافات جعلت رد فعله أكثر عنفًا.

فقد ذكر الخديوي عباس حلمي الثاني في مذكراته الخلاف بينهما فقال: "وكنت قد حلمت بقيام تقارب بين الشيخ علي يوسف وبين مصطفى كامل، ولكني لم أتمكن من الوصول إلى هذه النتيجة أبدًا. وكان هناك نوع من الاعتزاز وحب الذات الزائد عن الحد يفصل بين هذين الرجلين، اللذين كان من الممكن أن يتفاهما دون أن يحب الواحد منهما الآخر." [49]

يذكر حلمي النمنم أن مصطفى كامل كان محافظًا في القضايا الاجتماعية، لكن اللواء لم تكن جريدة اجتماعية، بل كانت سياسية تركز اهتمامها على قضية الاحتلال الإنجليزي لمصر، ولكنها انجرفت إلى قضية الزوجية ووضعتها على رأس أولوياتها، بوصفها قضية سياسية؛ حيث وجد فيها مصطفى كامل فرصة للتنديد بعلي يوسف والتشهير به، وكان موقفه من علي يوسف يعني ضمنيًا موقفه من الخديو؛ حيث كان يعده مهادنًا للاحتلال لارتباطه بالخديو بعد الوفاق الودي بين إنجلترا وفرنسا. ويدل على ذلك عدم توقفه عن الهجوم الحاد عليه على الرغم من انتهاء قضية الزوجية وتوقف الصحف عن الكتابة فيها. [50] ولعل التأييد الإنجليزي لعلي يوسف كان أيضًا من أسباب تربص مصطفى كامل به وهجومه الشديد عليه.

2.3. الوسائل البلاغية التي وظفها الشيخ علي يوسف لتحقيق التأثير والإقناع:

تعد مقالات الشيخ علي يوسف خطابات بلاغية جماهيرية؛ حيث إنها أنتجت واستهلكت في إطار عملية اتصال كان المتلقون فيها طرفًا فاعلاً؛ حيث أسهمت استجاباتهم المؤيدة لزواجه أو المعارضة له في تشكيل خطابه، وصوغ حججه. وبناء على ردود الأفعال التي عرضتها الدراسة آنفًا، أنتج علي يوسف عددًا من الخطابات التي وضح فيها موقفه مدافعًا عن نفسه، داحضًا المزاعم والحجج التي أثيرت ضده، وقد اعتمد في إنتاجه لهذه الخطابات على تفاعل ثلاثة قوالب: قالب معرفي مزود بالمعلومات التي يحتاجها، وقالب اجتماعي يحدد الظروف والكيفية التي يجب أن يتم بها التواصل، وقالب لغوي يقوم بناءً على القالبين السابقين بصياغة العبارة اللغوية المناسبة التي تسهم في تحقيق الغرض التواصلي. [51]

وقد وظف فيها العديد من الظواهر البلاغية التي يهدف من خلالها إلى إقناع المتلقين والتأثير فيهم؛

فـ"إن الأمر في البلاغة ينطق بصورة موجزة للغاية باستعمال واعٍ وهادف ومعلل لمعارف الجمهور المستمعين وآرائهم ورغباتهم من خلال سمات نصية خاصة، أو الطريقة التي يتحقق من خلالها هذا النص في الموقف الاتصالي." [52]

يذكر د. عماد عبد اللطيف أن الظواهر البلاغية التي تستهدف تحقيق الإقناع والتأثير تتمثل في:

ظواهر لغوية؛ مثل: اختيار الأصوات والمفردات والتراكيب والمجازات.

ظواهر فوق لغوية؛ مثل: وسائل الإقناع والسرد.

ظواهر سياقية؛ مثل: زمان الحدث البلاغي ومكانه وطبيعة المشاركين فيه ووسائط انتقالية.

ظواهر سيميوطيقية غير لغوية؛ مثل: الموسيقى والصورة والحركة والإشارات الجسمية والرقص. [53] وتكتفي الدراسة ببيان الظواهر اللغوية والظواهر فوق اللغوية؛ حيث إنها قد تعرضت للسياق في بدايتها، ولم تصاحب الخطابات أي ظواهر سيموطيقية.

ومن أبرز الأفكار التي وظف علي يوسف لأجلها الظواهر البلاغية للتأثير والإقناع:

1. التضامن مع الشيخ السادات (إبداء الحرص على حفظ الود معه)

حاول علي يوسف أن يحفظ علاقة الود مع الشيخ السادات بوصفه والدًا لزوجته، فلم يرد أن تتحول العلاقة بينهما إلى علاقة عداء وخصام صرفة. كما أن تضامنه معه ومحاولة التقرب إليه يعد وسيلة تأثيرية جيدة في المتلقين تعبر ضمنيًا عن حفظه لمكانة الشيخ الجليل، وعدم قصدية التعدي عليها. وقد وظف العديد من الوسائل اللغوية المعبرة عن تضامنه معه وتقربه إليه، مثل:

قوله في أول مقال له يكتبه تعقيبًا على رسالة السادات إلى الصحف المختلفة التي يعلن فيها أن زواج ابنته بعلي يوسف تم على غير إرادته، وأنه سوف يقاضيه لفسخ الزيجة بسبب عدم كفاءته لمصاهرته: "لم نرد عليه بكلمة واحدة، ولم ندفع عن أنفسنا شيئًا من الظنون والريب الكثيرة التي تحيط بمثل هذا الموضوع؛ **احترامًا لمكانته ولأشرف بضاعة منه** عندنا" [54]

فقد وظف المفعول لأجله (احترامًا)، والمركب الإضافي (أشرف بضاعة منه) مكنيًا به عنه السيدة صفية السادات زوجته؛ ليعبر عن توقيره له وحرصه عليه، ولعلو مكانته ومكانة ابنته في نفسه، ففي إيذائه أو التعدي عليه إيذاء لكريمته التي هي زوجته.

"**كنا نتمنى** أن فضيلة السيد السادات لا **يلجئنا** إلى موقف الخصومة معه... كما **كنا نتمنى من صميم فؤادنا** أنه لم **يلجئنا** إلى سلوك الطريقة التي سلكناها بعد **بذل كل الجهد** في سبيل استرضائه لقطع حبل المطل الذي أطاله والملل الذي مدده." [55]

تكراره لقوله "كنا نتمنى، يلجئنا" يوحي باضطراره إلى سلك تلك الطريقة المستهجنة المخالفة للعادات والأعراف في الزواج، وقد استعمل المركب الإضافي الانفعالي (صميم فؤادنا) ليعبر عن صدق تمنيه واضطراره الحقيقي واستنفاده لكل السبل المألوفة المعتادة لإتمام الزيجة.

"وعلى فرض أن علينا بعض المسئولية الأدبية ففضيلة السيد الذي يرى شرفه فوق كل شرف، **ونحن نحب أن يكون أشرف الناس من كل وجه** أبى أن يترك المسئلة إلى الحد الذي وصلت إليه فأخذ يرفع البلاغات والشكاوى بلهجة لا تليق بمثله..." [56]

وظف بنية الاعتراض "ونحن نحب أن يكون أشرف الناس من كل وجه" ليعبر به عن طريق بعض الألفاظ الانفعالية مثل: (نحب) التي أتت في زمن المضارعة لتدل على استمرار حبه له وتمني الخير له دائمًا، و(أشرف) التي أتت في صيغة التفضيل لتدل على احتلاله موقعًا مميزًا لديه دون سائر الناس.

قوله في سياق حديثه عن تأثر السادات بالناصحين غير المخلصين له: "**ونحن نسأل الله أن يقيه شرور الماكرين في المستقبل.**" (57)

وظف الدعاء بوصفه أداةً تأثيرية؛ ليعبر عن حبه للسادات وتمنيه الخير له في الحاضر والمستقبل، لتنبيه المتلقين أن ما يقوم به السادات من أفعال مهاجمة لعلي يوسف، قد تسيء للشيخ نفسه إنما هي بإيعاز من أشخاص ماكرين لم يخلصوا النصح له.

يلاحظ توظيف المفعول لأجله، والمركبات الإضافية، والألفاظ الانفعالية، والاعتراض، والدعاء بوصفها أدوات لغوية تضامنية تأثيرية يحفظ بها علاقته بالشيخ السادات على الرغم مما بينهما من خصومة قضائية، ويبين فيها للمتلقين حفظه لمكانة الشيخ وتوقيره له.

2. الطعن في قرار المحكمة

استشهد علي يوسف بنصوص قانونية؛ ليثبت من خلالها خطأ حكم الحيلولة بينه وبين زوجته صفية السادات، وذلك نحو:

"وقد جاء في باب المرافعات من لائحة المحاكم الشرعية ما نصه: (المادة 48) "لا تسمع الدعوى إلا في وجه خصم شرعي حقيقي"، وقد جاء في المادة (70) ما نصه: "إذا امتنع المدعى عليه عن الحضور إلى المحكمة وعن إرسال وكيل عنه في الميعاد الذي تحدد له، فبناء على طلب المدعي يعذر إليه ويرسل له طلب جديد ثلاث مرات في ثلاثة أيام على الأقل، ويذكر له أنه إن لم يحضر في الميعاد أو يعين له وكيلاً نصب له القاضي وكيلاً وسمع عليه الدعوى الخ الخ. فهذه النصوص قطعية في أن المحكمة **قد أخطأت خطأ ظاهرًا** في أول خطواتها في القضية وأصدرت قرارًا بعد هذا السماع غير الجائز." (58)

فقد وظف علي يوسف الاستشهاد بنص قانوني بوصفه وسيلة بلاغية فوق لغوية؛ ليقنع المتلقين بأن قرار التفريق بينه وبين زوجته قبل الحكم في القضية أمر مخالف لأحكام القانون، وفي ذلك تشكيك في قرارات القاضي وأنه لا يحكم بناءً على ما نصته القوانين. كما وظف وسائل بلاغية لغوية في قوله "قد أخطأت خطأ ظاهرًا" فاستعمل عددًا من أدوات التوكيد ليؤكد حكمه بخطأ المحكمة، فاستعمل (قد)، واستعمل المفعول المطلق المبين للنوع (خطأ ظاهرًا) ليقنع المتلقين بعدم صحة ذلك القرار.

"والآن نذكر أننا وإن انتقدنا صدور القرار بالصفة التي صدر عليها **فإننا نعترف علنًا بأن حضرة القاضي الفاضل الذي أصدره من أذكى رجال القضاء الشرعي وأعلمهم بوظيفته. لا نرميه بتحامل ولا تحيز**، ولكن لما صدر منه قد يحملنا على الظن بأنه **كان مدفوعًا بعامل التأثر وانفعال الشعور الذي تلقى به الكثيرون هذه الحادثة غير المألوفة** ممن لم يقفوا على دخائلها منا أو من غيرنا. ولكننا ونحن أمام منصة القضاء لا نطلب شعورًا بالعادات ولا انفعالاً مهما كان شريفًا **وإنما نطلب قضاءً عادلاً وحكمًا تنطق كلماته بحكمه الشرعية**." (59)

توقع علي يوسف أن يفهم المتلقون أن طعنه في قرار المحكمة هو طعن في نزاهة القاضي، فحاول أن يستدرك ذلك ويوضح مقصوده متضامنًا مع القاضي؛ فقام بمدحه بأنواع الوصف المختلفة؛ النعت "الفاضل"، واسم التفضيل "أذكى، أعلم"، كما قرر وأكد باستعمال (إنّ) والفعل المضارع (نعترف) والحال (علنًا) المعنى نفسه. كما حاول أن يبرر له قراره بأن قال عنه إنه "كان مدفوعًا بعامل التأثر وانفعال الشعور الذي تلقى به الكثيرون هذ الحادثة غير المألوفة".

وبعد أن تضامن مع القاضي، وظف الاستدراك "لكننا ونحن أمام منصة القضاء لا نطلب شعورًا بالعادات ولا انفعالاً مهما كان شريفًا" ليثير به مشاعر الشفقة والرثاء لحاله ببيان وقوع ظلم

عليه، ثم استعمل استراتيجية توجيهية غير مباشرة "إنما نطلب قضاءً عادلاً وحكمًا تنطق كلماته بحكمه الشرعية"، فستعمل (إنما) للحصر والتأكيد [60] فيقصر مطالبه في أن يُحكم في قضيته حكمًا عادلاً خاليًا من الأهواء والانفعالات.

في سياق رده على من قال إن قرار المحكمة بالحيلولة بين الزوجين أمر احتياطي تجب مراعاته صيانة للأعراض: "وهو قول **مزخرف الظاهر ساقط** في نظر كل من تتبع أحكام المحاكم الشرعية في مثل هذا الباب أو ما هو أدخل منه في شبهات النكاح. فالمحاكم الشرعية تصدر كل سنة مئات من أحكام الطلاق والتفريق بين الزوجين لأسباب كثيرة، ولم يخطر على بالها مرة من المرات أن تشمل قراراتها بالنفاذ المعجل، فتأخذ القضايا والحالة هذه سيرها الطبيعي، وتبقى المرأة في بيت زوجها المحكوم بطلاقها منه إلى أن يصير الحكم نهائيًا بانقضاء مدة الاستئناف أو بصدور حكمه مؤيدًا للابتدائي." [61]

وظف علي يوسف الوصف بالنعت "مزخرف الظاهر ساقط" ليوحي بكذب ادعاء المحكمة أن قرار الحيلولة أتى صيانة للأعراض، واستدل على ذلك بأمثلة واقعية كثيرة تنفي إصدار المحاكم الشرعية من قبل لقرارات احتياطية صيانة للأعراض. وهذه الأساليب اللغوية وفوق اللغوية تهدف إلى إقناع المتلقين بأن قرارات المحكمة غير صحيحة، خاضعة لانفعالات القاضي، وبها قدر من التحامل على المدعى عليه.

3. بيان صحة عقد زواجه عرفًا وشرعًا:

قام الشيخ علي يوسف بسرد ما اضطره إلى الزواج من كريمة الشيخ السادات بغير إذنه، سردًا مفصلاً، مستخدمًا أسلوب الحكي المشوق للمتلقين:

. "**خطبنا** من حضرة فضيلة السيد السادات كريمته منذ أربع سنوات، **فأجاب** بالقبول، **وخاطبه** في هذا الشأن بين حين وآخر بعض الكبراء والعلماء والأعيان، **فكان يردد** جواب القبول ويرجئ وقت الإنفاذ إلى زمن أوفق... **ومنذ** سنة وبضعة أشهر قدمت له جملة من المجوهرات باسم النشان فقبلها وحفظها عنده إلى الآن. **ثم بعد أسابيع** قدمت له المهر علي يد موظف كبير من رجال الحكومة، **فقبله** في جمع من الناس على أنه مهر وحفظه عنده حتى هذه الساعة... **وسافرنا** إلى أوروبا في العام الماضي **فلزمت** خطة سفره التي كانت تخالف خطتي المقررة من قبل ليستريح ولو تعبت كما يليق بالصهر مع حم مثله. **وعدنا** من أوروبا فعدنا إلى طلب تحديد يوم العقد، وعاد هو إلى المطل والتسويف مع الجواب الإيجابي لكل مخاطب له في هذا الشأن... **بعد هذا كله وجدنا** أنفسنا بين أمرين رجحنا أحدهما، **وأنفذنا العقد** في بيت أقرب قريب لبيت السادات، **وقد تم إجراء العقد بالصيغة الشرعية على يد مأذون شرعي مختص بعقود الزواج في الجهة التي صدر فيها، ثم** قصدت العروس بعد ذلك بيتها الجديد." [62]

استعمل علي يوسف السرد بوصفه وسيلة بلاغية فوق لغوية تتجاوز اللغة على الرغم من تشكلها عبرها، لجذب المتلقين لسماع تفاصيل الأمر والإحاطة به من كافة جوانبه، عن طريق تتابع الأفعال الماضية المختلفة المترابطة فيما بينها بروابط زمنية متنوعة (الفاء، الواو، ثم، بعد)؛ ليعبر من خلالها عن استغراق أمر الزواج مدة زمنية طويلة، وكذلك استغراق محاولاته ومحاولات الآخرين مع الشيخ السادات مدة زمينة طويلة، كانت مبررًا له في تجاوزه وإنفاذ الزواج بغير إذنه. وفي هذا السرد محاولة لإقناع المتلقين بتقبل أمر الزواج لأن الوالد عاضل لابنته ومماطل له. ووظف (قد) مع المركبات الوصفية (الصيغة الشرعية،

مأذون شرعي مختص) ليؤكد أن أمر زواجه كان شرعيًا موافقًا لتعاليم الإسلام غير متجاوز له.

بعد أن حاول علي يوسف أن يثبت للمتلقين صحة زواجه من الوجهة الشرعية والقانونية، حاول أن يثبته من الوجهة الاجتماعية ببيان أن الزواج تم على مرأى ومسمع من أهل الفتاة، فذكر في حديثه عن باطنة السوء التي تحرض الشيخ السادات على فسخ زواج ابنته: "زينوا له هذا وهم يعلمون أن كريمة السيد **بالغة رشيدة مالكة أمر نفسها منذ سنوات عديدة**، وأنها خرجت من بيت والدها في **جحفل من أهلها** على نية أن تتزوج بمن **رأته أهلاً لها، وقد رضي أبوها وقبض منه المهر والنيشان وغيرهما** من قبل." [63] فقد وظف الوصف باسم الفاعل (بالغة، مالكة)، وصيغة المبالغة (رشيدة) ليوحي بحسن إدراك ابنة السادات وتمييزها حتى إنها تزوجت "بمن رأته أهلاً لها"، وكنى عن موافقة أهلها على الزواج بقوله إنها خرجت في "جحفل من أهلها" والجحفل هو الجيش الكثير، وتجحفل القوم أي تجمعوا [64]، وتوكيده لرضا والدها وقبضه المهر وغيره بـ (قد)؛ ليقنع المتلقين بصحة زواجه عرفًا، وفي ذلك تكذيب ضمني لما ادعاه الشيخ السادات بأن الزواج قد تم دون علمه أو رضاه.

4. بيان حرصه على الفتيات:

كان من ضمن ردود الأفعال تجاه القضية ردود أفعال لفتيات ينكرن هذا الزواج، ويبدين استياءهن البالغ منه، فكان لا بد للشيخ علي يوسف أن يدافع عن نفسه، ويحاول إثبات أن ما فعله كان لصالح الزوجة بوصفها فتاة من الفتيات، وهو حريص حرصًا شديدًا على مصلحة أي فتاة، فمما قاله في هذا الشأن:

"... العدول عن مصاهرته بعد ذلك التاريخ الطويل العريض كان **لا بد أن يعرض كريمته** التي ارتبطنا معها برباط الخطبة، والتي أظهرت رغبة تامة في أن لا تكون مثالاً ثانيًا بعد ذلك المثال الذي يعرفه كل من سمع بقضايا حضرة عثمان بك أبي زيد مع فضيلة والدها **إلى السقوط في مهواة اليأس**، فكان علينا دين آخر من المروءة يعوض ما يمكن أن يكون قد فاتنا بالعدول عن طريقة الطريقة المألوفة." [65]

"نطلب ألا ينظر لأمر الأب وحده على البنت حتى تصير **هذه كأداة جامدة في البيت إن زوجها أبوها رضيت، وإن عضلها رضيت، وإن ألقاها في مهواة اليأس رضيت**، نطلب العدل الذي يتغلب على الضوضاء والإشاعات المختلفة؛ لأن الله مشرع الشرائع فوق كل شيء." [66]

"هذا التكذيب الذي أظهر للخاصة والعامة أنه حتى الآن **لا يريد إلا أن القوة العسكرية إلى حيث تقيم كريمته وتجرجرها إلى منزله**، وأنه يفضل لها مثل هذه **الإهانة العلنية** على أن تبقى في منزل رجل كبير عظيم الشهرة بالتقوى والصلاح والأمانة مكرمة معززة إلى حين يفصل بينه وبينها القضاء العادل." [67]

فكل ما أتى به من مظاهر بلاغية لغوية هو وسائل تأثيرية، يحاول بها أن يثير في المتلقين مشاعر التعاطف مع زوجته بخاصة، ومع البنات اللاتي يعضلهن آباؤهن عامة، فاستعمل التعبيرات المجازية والألفاظ الانفعالية والوصف؛ فالتعبيرات المجازية نحو: الكناية في قوله (السقوط في مهواة اليأس)؛ ليعبر عن الحالة النفسية الشيئة التي تصل إليها الفتاة التي يعضلها والدها ويتخلى عنها خاطبها، فيثير مشاعر الشفقة والرثاء لحالها، ليتعاطف المتلقون معها. والتشبيه في قوله (تصير هذه كأداة جامدة في البيت) ليوحي بعدم اعتبار الفتاة وإرادتها في المجتمع، فهي كالأداة في يد والدها يتحكم فيها ويوجهها كيفما شاء، دون اعتبار لرغباتها ومشاعرها، مما يثير في المتلقين مشاعر الرثاء لحالها والغضب والسخط تجاه المتحكم فيها. ووظف الألفاظ الانفعالية مثل: (مهواة اليأس، تجرجرها، الإهانة) ليوحي بمدى الإيذاء النفسي

والمادي للفتاة بسبب والدها العاضل لها، وكذلك الوصف في قوله (الإهانة العلنية) ليثير في المتلقين مشاعر السخط تجاه الشيخ السادات.

5. إقراره مخالفة واقعة زواجه للعرف والعادات:

في محاولة من الشيخ علي يوسف لإنتاج خطابًا خاليًا من التضليل، بناءً على ما شهده من ردود أفعال متنوعة واعية من المتلقين، فقد لجأ إلى المكاشفة والاعتراف بمخالفة واقعة زواجه للعرف فيقول:

."يرى **الكثيرون** من الناس أننا سلكنا **طريقة غير مألوفة مع شخص كبير عظيم المنزلة بين الهيئة الاجتماعية**، ويرى البعض أننا **خالفنا العادات القومية المحترمة** بين أمثالنا وأمثال فضيلة السيد. **ولكن** الواقفين على تاريخ المسألة يعذروننا بعض العذر إن لم يكن كله." (68)

يقرر علي يوسف إدراكه لسبب الهجوم عليه، مقدرًا حجم ما أتى به من أمر مخالف للأعراف، وغير ملائم لمنزلة الشيخ السادات، ولكنه يستدرك "لكن الواقفين على تاريخ المسألة يعذروننا بعض العذر إن لم يكن له" ليوضح للمتلقين أن من لديهم إحاطة بتفاصيل الواقعة يلتمسون له العذر، ولا يوجهون له اللوم، فهو كان مضطرًا.

6. الطعن في السادات:

على الرغم من حرص علي يوسف على التضامن مع السادات فإن الهجوم الشديد عليه والحط من قدره ألجأه إلى الطعن فيه أحيانًا؛ ليقنع المتلقين أن الشيخ السادات كان ظالمًا له ولبناته، وهذا طبع فيه معروف، ومن ذلك: قوله في روايته لوقائع إحدى الجلسات: "... فبدأه ببيان تاريخ حضرة المدعي مع بناته وأخته وعماته وتوسع في ذلك بما بين للمحكمة **أنه رجل من طبعه عضل قريباته وبناته**..." (69)

وظف الجملة الاسمية الخبرية "أنه رجل من طبعه عضل قريباته وبناته؛ ليقرر ويؤكد هذه الصفة في الشيخ السادات، والأمثلة التي ذُكرت في بيان وكيل علي يوسف خير شاهد يقنع بهذه الحقيقة المقررة. "ويقولون إن فضيلة السيد السادات أكثر من الشكاوى لجهات الحكومة وبالغ بعضهم فقال إنه رفع تلغرافًا إلى جلالة الملك إدوارد (وصاحب القضاء الشرعي في مصر هو جلالة الخليفة الأعظم). ونحن نسأل فضيلته لماذا هو عارض جهده وسعى كل السعي لعدم تنفيذ الحكم النهائي الذي أصدرته المحكمة الشرعية منذ سنوات بلزوم طاعة كريمته المصونة السيدة أسماء لزوجها حضرة عثمان بك أبي زيد. ولما أراد المرحوم ماهر باشا محافظ العاصمة سابقًا أن ينفذ الحكم بالقوة (والحكم نهائي) شن عليه الغارة، وملأ الدنيا في وجهه صباحًا قائلاً كيف تؤخذ بنت السادات من بيت أبيها بقوة عسكرية، واضطرت الحقانية يومئذ إجابة لوساطة عطوفة رئيس النظار أن تشير على المحافظة بالتوقف عن التنفيذ، فربما وجدت وسيلة كفيت به شر التداخل بالقوة، وقد كان ذلك وطلقت هذه الكريمة صلحًا، لماذا هو الآن يشكو من عدم التنفيذ (والقرار تمهيدي لا حكم في الموضوع ابتدائي ولا استئنافي. **أليست هذه التي يريد أن يأخذها من بيت زوجها بالقوة العسكرية هي بنت السادات وأخت تلك الكريمة المصونة!**" (70)

حاول توظيف الإقناع عن طريق حجة وجه الذات التي تثبت وقوع الشيخ السادات في تناقضات بتغير سلوكه تجاه القضاء وأحكامه بتغير الموقف؛ فقد رفض تنفيذ حكم قضائي يلزم ابنته أسماء بطاعة زوجها، بينما يعيب عليه وعلى ابنته صفية رفضهما لتنفيذ قرار الحيلولة بينهما. وقد أدى هذه الحجة بعدد من الأساليب اللغوية مثل: الاستفهام التعجبي الاستنكاري في "أليست هذه التي يريد أن

يأخذها من بيت زوجها بالقوة العسكرية هي بنت السادات وأخت تلك الكريمة المصونة!"

7. الدفاع عن نسبه وحرفته:

قوله محاولاً إثبات كفاءته لمصاهرة السادات: "فما قوله غدًا إذا **وقفنا بين يديه متأدبين** وقلنا له **يا مولانا الحم الكبير** ما هي وجوه الكفاءة التي تمتاز بها علينا وهي مفقود منا. **فنحن سواء طبعًا في الإسلام والحرية**. أما الشرف فبالطريقة التي يمكنك أن تثبته لنفسك نستطيع نحن، ويظهر للعالم أن **كلانا شريف حسيني علوي**، وأما الثروة فبالطريقة التي تتوصل بها إلى بيان بسيطة مالك نتوصل نحن. وأما الحرفة فكلانا عضو في الجمعية العمومية، **أنا من قبل الأمة وأنت من قبل الحكومة، والأمة أصل والحكومة فرع**." [71]

التزم علي يوسف التأدب مع الشيخ السادات رغبةً في التضامن معه لأسباب بينتها الدراسة في موضع سابق، يتضح ذلك في قوله "وقفنا بين يديه متأدبين، يا مولانا الحم الكبير"، وقد اتبع هذا التأدب بالدفاع عن نسبه وحرفته اللذين قد حط الشيخ من قدرهما، فبين تساويه مع الشيخ في النسب الشريف والثروة والمهنة؛ بل إنه ألمح إلى تفوقه علي الشيخ في الحرفة لأنه انتخب من قبل الأمة التي هي الأصل، والشيخ تقلد العضوية بالتعيين. وذلك ليقنع المتلقين بكفاءته لمصاهرته.

قوله في الرد على ادعاء وكيل السادات أن الصحافة حرفة دنيئة ومحرمة لأنها عبارة عن جاسوسة عامة معدة للإشاعة وكشف الأسرار: "**فلو صح أنها دنيئة** بذلك الاعتبار وأن كسبها حرام **لكانوا جميعًا آثمين**؛ لأنهم مشاركون لأصحاب الجرائد باشتراكهم فيها، مشجعون عليها بالشراء ودفع الثمن... ولكن جريدة "**مصر الغراء**" قالت في هذا الصدد ما يأتي: "**أما ما قاله الشيخ الفندي وكيل السادات تعريضًا بالصحافة وحسبانها من المهن الدنيئة المضرة فقول لا يصدر إلا عن الجاهلين الأغبياء الذين لا يدركون ولا يفهمون**". ولهذا نحن نسامح حضرة الشيخ الفندي في جميع ما قاله فينا دون الحاجة إليه في الموضوع." [72]

كان ما أورده محامي الشيخ السادات في إحدى الجلسات عن مهنة الصحافة وتأييد البعض له أمرًا مثيرًا لعلي يوسف ولغيره من المتلقين أصحاب المهنة وغيرهم، وقد وظف علي يوسف في رده على زعمه عددًا من الأساليب اللغوية وفوق اللغوية التي تسهم في إقناع المتلقين؛ فوظف أسلوب الشرط "فلو صح أنها دنيئة... لكانوا جميعًا آثمين"، والتعليل باستخدام "لأن"؛ ليفرق بين أقوال خصومه وأفعالهم؛ فيدحض زعمهم تمامًا ببيان وقوعهم في تناقضات؛ فيما يسمى بحجة وجه الذات. وقد ذكر كلٌ من (ولتون D.Walton) و(وودس J.Woods) في بحثهما Argumentum ad hominem a pragma – dialectical case in point أن حجة وجه الذات تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: يشتمل على مظاهر مختلفة من التناقض الذي يقع فيه المتكلم، ويشار إليه بالقول المأثور: (ينهى عن خلق يأتي مثله)، وهو ما عبر عنه في المثال السابق. والنوع الثاني: وجه الذات الاستهجاني، ومداره على افتقاد المتكلم الخوض في مجال يفتقد فيه الخبرة والكفاءة [73]، وهو ما عبر عنه بتوظفه الاستشهاد بوصف صحيفة "مصر الغراء" لمقولة المحامي أنها "قول لا يصدر إلا عن الجاهلين الأغبياء الذين لا يدركون ولا يفهمون" فهذا الوصف الذي يطعن في أهلية المحامي للحكم على الأمور، ويشكك في معلوماته وقدراته العقلية، ويجرده من مظاهر الثقة والاحترام؛ ليفقد المتلقين الثقة في أقواله وادعاءاته.

أورد في عدد 4 أغسطس كتاب فضيلة قاضي مصر إلى فضيلة شيخ الجامع الأزهر في أمر نسب صاحب المؤيد، وقد ذكر في رد شيخ الأزهر: "**إن قيد اسم**

السيد علي يوسف صاحب جريدة المؤيد في سجل أنساب أشراف الديار المصرية كان علي يدنا في سنة1897م . 1314هـ".

فقد أسهمت المقالات التي طعنت في نسبه في تشكيل خطابه الذي حاول فيه إثبات أنه شريف يرجع نسبه إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، مستعينًا في ذلك بوسيلة بلاغية فوق لغوية وهي الاستشهاد بمقولة لأكبر شخصية دينية معتبرة ومحترمة في المجتمع المصري لإثبات انتسابه إلى الأشراف؛ ومن ثم كفاءته في النسب للشيخ السادات، وإقناع المتلقين بذلك، ومن ثم يقتنعون بصحة زواجه.

8. مدح القراء المتلقين:

قوله في حديثه عما تكتب الجرائد حول قضيته مع الشيخ السادات: "لم نرد على ما ينشر في **الجرائد الكاسدة** من أقوال **الهذر والهذيان**؛ لعلمنا أن الناس **أعقل وأرقى** من أن تخفى عليهم أغراض أولئك **الأطفال الذين خيل** لهم أن هذه فرصة ينالون من ورائها بعض المكسب من رواج **بضاعتهم الكاسدة**." [74]

يتضح أثر بلاغة كلٍ من الجمهور المعارض المهاجم لعلي يوسف، والمؤيد المتعاطف معه؛ حيث إن ما كتبه الكثيرون مهاجمين له، طاعنين في شخصه ونسبه ومهنته ومقاصده، كان سببًا في تشكيل خطابه هذا الذي فيه استعمل الوصف في قوله "الجرائد الكاسدة، بضاعتهم الكاسدة" ليبين أن الجرائد التي نشرت هذه المقالات لم تنشرها سوى لتحقق الرواج والانتشار، بإثارتها لفضول المتلقين حول هذه القضية. كما أتى استعماله للمركب العطفي "الهذر والهذيان"، ومترادفان حيث إن الهذر هو الكلام الذي لا يعبأ به، وهو سقط الكلام. الهَذَر هو الهذيان. [75] والهذيان "كلام غير معقول مثل كلام المبرسم والمعتوه... وهذي إذا هذر بكلام لا يُفهم" [76]، فقد أتى بهما ليؤكد أن الكلام المهاجم له لا يمثل له أي قيمة، فهو غير معتبر لديه ولا لغيره، فهو مثل كلام المعتوهين غير صحيح وغير مفهوم وغير مؤثر. وفي وصفه لمن يكتبون في تلك الجرائد بـ"الأطفال الذين خيل إليهم" استخفاف بهم وبتأثير ما يكتبون. كما أن وصفه للمتلقين بصيغة أفعل التفضيل في قوله "أعقل وأرقى" فيه جذب للمتلقين، وتأليف لهم، وتضامن معهم، وتقرب إليه بمدحهم ومدح عقليتهم وتفكيرهم وحكمهم على الأمور.

وظف علي يوسف العديد من الظواهر البلاغية اللغوية التأثيرية كالألفاظ الانفعالية، والكنايات، والتشبيهات، والوصف اللغوي والاستفهامات المجازية. والإقناعية كالقصر، والاستدراك، والاعتراض، والشرط، والتعليل، والمركبات الإضافية، وأدوات التوكيد. والظواهر البلاغية فوق اللغوية من سرد، واستشهادات بأمثلة واقعية ونصوص قوانين وأقوال الغير، وحجج منطقية لإثارة المتلقين وكسب تأييدهم له، وإقناعهم بصحة موقفه من الناحية الشرعية والعرفية.

خاتمة

توصلت الدراسة بشقيها النظري والتطبيقي إلى عدد من النتائج، أبرزها:

- تسبب رد فعل الشيخ السادات (المتمثل في رسالة منشورة في الصحف المختلفة) تجاه خبر إعلان زواج ابنته بالشيخ علي يوسف في تحويل الزواج من أمر عائلي خاص إلى قضية رأي عام؛ فأصبحت المقالات المكتوبة حولها خطابًا إعلاميًا جماهيريًا.
- وظف الشيخ السادات في رسالته عددًا من المقولات الإخبارية والالتزامية والتوجيهية؛ لينجز أغراضه التواصلية.
- تمثلت أغراض الشيخ السادات التواصلية في: إعلام المتلقين بوقوع الزواج على غير إرادته، وإثارة مشاعر السخط والغضب تجاه علي

يوسف وزعزعة مكانته في نفوس المتلقين، اكتساب تأييد المتلقين بإثارته مشاعر التعاطف والشفقة تجاهه، وإلزام نفسه برفع قضية لفسخ عقد الزواج.

- كان الخطاب المضاد لرسالة السادات خطابًا إخباريًا تقريريًا من مجهول؛ مما جعل تأثيره في المتلقين ضعيفًا ومحدودًا.
- انقسم الرأي العام تجاه قضية زواج علي يوسف وصفية السادات إلى ثلاث فرق؛ فريق محايد اكتفى بنقل الوقائع دون تعقيب وتمثل في جريدة "المقطم"، وفريق مؤيد دافع عن كفاءة علي يوسف لمصاهرة السادات وتمثل في مجلة "المنار"، وفريق معارض رأى في تلك الزيجة اعتداءً سافرًا على القيم الدينية والاجتماعية وتمثل في جريدة "اللواء".
- التزم كلٌ من قاسم أمين (صاحب كتاب تحرير المرأة) والشيخ محمد عبده (المرجعية الدينية له) الصمت التام تجاه القضية.
- كانت جريدة اللواء تمارس سلطة عاطفية ودينية لتؤثر في المتلقين، وتشكل خطابًا مضادًا أكثر دفاعية من علي يوسف في المؤيد.
- انحصرت وظائف اللغة في الخطاب المعارض لعلي يوسف في الوظائف الإخبارية والشخصية والتوجيهية، وجميع هذه الوظائف اتسعت لتؤدي وظيفة تأثيرية إقناعية لتنجز غرضها التواصلي الرئيس، وهو توجيه المتلقين لنبذ علي يوسف، ومقاطعة المؤيد.
- انحصرت وظائف اللغة في الخطاب المؤيد لعلي يوسف في الوظائف الإخبارية والتوجيهية والشخصية، واتسعت جميعها لتؤدي وظيفتي الإقناع والتأثير.
- تهدف الوظائف الإخبارية والتوجيهية في الخطاب المؤيد للزواج إلى الإقناع معتمدة على حجج منطقية تمثلت في السلطة الدينية، والبرهان ذي الحدين، والأمثلة الواقعية.
- تهدف الوظائف الشخصية في الخطاب المؤيد إلى التأثير عن طريق استعمال الألفاظ الانفعالية والاستفهامات التعجبية.
- تعد مقالات الشيخ علي يوسف خطابات بلاغية جماهيرية؛ حيث إنها أنتجت واستهلكت في إطار عملية اتصال كان المتلقون فيها طرفًا فاعلاً؛ حيث أسهمت استجاباتهم المؤيدة لزواجه أو المعارضة له في تشكيل خطابه، وصوغ حججه.
- وظف علي يوسف العديد من الظواهر البلاغية اللغوية التأثيرية كالألفاظ الانفعالية، والكنايات، والتشبيهات، والوصف اللغوي والاستفهامات المجازية. والإقناعية كالقصر، والاستدراك، والاعتراض، والشرط، والتعليل، والمركبات الإضافية، وأدوات التوكيد. والظواهر البلاغية فوق اللغوية من سرد، واستشهادات بأمثلة واقعية ونصوص قوانين وأقوال الغير، وحجج منطقية لإثارة المتلقين وكسب تأييدهم له، وإقناعهم بصحة موقفه من الناحية الشرعية والعرفية.

-قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر*:

1- **جريدة الأهرام**، لصاحبها: بشارة وسليم تقلا، جريدة يومية، مصر، ع (8004)، 17 يولية 1904.

2- **جريدة المقطم**، لأصحابها: صروف ونمر ومكاريوس، جريدة يومية سياسية تجارية أدبية لأصحاب امتيازها، مصر، أعداد الفترة من 15 - 29 يولية 1904.

3- **جريدة المؤيد**، لصاحبها: علي يوسف، جريدة يومية تجارية سياسية، مصر، أعداد الفترة من 16 يولية – 11 أغسطس 1904.

4- **مجلة المنار**، لصاحبها: محمد رشيد رضا الحسيني، مجلة إسلامية شهرية، مطبعة المنار، مصر، ط2، 1315هـ.

5- **جريدة اللواء**، لصاحبها: مصطفى كامل باشا، جريدة يومية سياسية أدبية تجارية، مصر، أعداد من 23 – 27 يولية 1904.

ثانيًا: المراجع:

1-أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، مطبعة مصر، القاهرة، ط1، 1936.

2-أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991.

3-حاتم عبيد: في تحليل الخطاب السجالي (تعقيب عبدالرازق بنور على كتاب "أهم نظريات الحجاج..." انموذجًا)، فصول (75)، شتاء-ربيع 2009، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

4-حلمي النمنم: رسائل الشيخ علي يوسف وصفية السادات، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002.

5- سليمان صالح: الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990.

6-عباس حلمي الثاني: عهدي (مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير)، دار الشروق، مصر، ط1، 1993.

7-عماد عبد اللطيف: بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، كتاب مؤتمر (Power and Role of the Intellectual) بقسم اللغة الإنجليزية . كلية الآداب . جامعة القاهرة، 2006.

8-عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع (83/ 84)، خريف/ شتاء 2012/ 2013.

6- **فاطمة الشيدي:** المعنى خارج النص (أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)، دار نينوى، سوريا، 2011.

7- **فان دايك:** علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001

8- **فتحي رضوان:** دور العمائم في تاريخ مصر الحديث: علي يوسف عمامة قلقة ومقلقة، مجلة الدوحة، قطر، ع (2)، 1 فبراير 1983.

9- **كلاوس برينكر:** التحليل اللغوي للنص، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005.

10- **ليتش** (جيوفري): مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013.

11- **المالقي** (أحمد بن عبد النور): رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.

12- **محمود نحلة:** آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، ط1، 2011.

13- **المرادي** (الحسن بن قاسم): الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م.

14- **منذر العياشي:** الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.

15- **ابن منظور** (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل حمال الدين): لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1955.

16- يوسف التغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014.

الهوامش:

[1]) سليمان صالح: الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990، ص17- 21.

[2]) فتحي رضوان: دور العمائم في تاريخ مصر الحديث: علي يوسف عمامة قلقة ومقلقة، مجلة الدوحة، قطر، ع (2)، 1 فبراير 1983، ص36.

[3]) السابق، ص36.

[4]) أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، مطبعة مصر، القاهرة، ط1، 1936، 2/ 60، 62.

[5]) المقطم، الجمعة 15 يولية 1904.

[6]) المؤيد، ع (4321)، السبت 3 جماد أول 1322هـ . 16 يوليو 1904م.

[7]) المؤيد، عدد 11 أغسطس 1904.

[8]) عماد عبد اللطيف: بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، ص17.

[9]) عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيمائية الأيقونات الاجتماعية، فصول، ع 83/ 84، خريف/ شتاء 2012/ 2013، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص517.

[10]) منذر العياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص10.

[11]) فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص (أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)، دار نينوى، سوريا، 2011، ص74.

[12]) السابق، ص79.

[13]) السابق، ص80.

[14]) راجع عماد عبد اللطيف: بلاغة المخاطب، ص20-23.

[15]) الأهرام، ع (8004)، الأحد 17 يوليو 1904.

[16]) المقطم 18 يولية 1904.

[17]) المقطم، عدد 20 يولية 1904.

[18]) راجع أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص131.

[19]) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص81- 83.

[20]) كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005، ص114.

[21]) المقطم، عدد 29 يولية 1904.

* كان أصحاب جريدة المقطم (فارس نمر، ويعقوب صروف، وشاهين مكاريوس) لبنانيين مسيحيين هاجروا إلى مصر، فربما خشوا من إحداث فتنة دينية بخوضهم في هذه القضية ذات الأساس الديني.

[22]) المقطم، عدد 28 يولية 1904.

[23]) فتحي رضوان: دور العمائم في تاريخ مصر الحديث، ص37.

[24]) يوسف التغزاوي: الوظائف التداولية، ص95.

[25]) محمود نحلة: آفاق جديد في البحث اللغوي، ص305، 306.

[26]) اللواء، عدد 23 يولية 1904.

[27]) ليتش: مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص236، 237.

[28]) المرادي: الجنى الداني، ص256.

[29]) اللواء، عدد 24 يولية 1904.

[30]) المرادي: الجنى الداني، ص235.

[31]) اللواء، عدد 24 يولية 1904.

[32]) ابن منظور: لسان العرب، مادة (علو).

[33]) اللواء، عدد 24 يولية 1904.

[34]) اللواء، عدد 27 يولية 1904.

[35]) اللواء، عدد 27 يولية 1904.

[36]) المالقي: رصف المباني، ص96، ذكر فيها معاني أما.

[37]) المقطم، عدد 28 يولية 1904.

[38]) المقطم، عدد 28 يولية 1904.

* محمد رشيد رضا (1865- 1935م) مفكر إسلامي لبناني من رواد الإصلاح الديني والاجتماعي، تأثر بالشيخ محمد عبده، وفد إلى مصر وأسس مجلة المنار على غرار صحيفة العروة الوثقى.

[39]) المنار، مج7، 10/ 383.

[40]) السابق، 10/ 382.

[41]) السابق، 10/ 384.

[42]) المؤيد، عدد 4 أغسطس 1904.

[43]) المؤيد، عدد 4 أغسطس 1904.

[44]) محمد طروس: النظرية الحجاجية، ص30.

[45]) السابق، ص30.

[46]) المؤيد، عدد 7 أغسطس 1904.

[47]) المرادي: الجنى الداني، ص277.

[48]) المؤيد، عدد 7 أغسطس، 1904.

[49]) عباس حلمي الثاني: عهدي (مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير)، دار الشروق، مصر، ط1، 1993، ص117.

[50]) حلمي النمنم: رسائل الشيخ علي يوسف وصفية السادات، ص54، 55.

[51]) يوسف التغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014، ص74.

[52]) فان دايك: علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص182.

[53]) عماد عبد اللطيف: بلاغة المخاطب (البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته)، ص19.

[54]) المؤيد، ع (4317)، 21 يولية 1904.

[55]) المؤيد، ع (4318)، 23 يولية 1904.

[56]) المؤيد، ع (4318)، 23 يولية 1904.

[57]) المؤيد، ع (4319)، 24 يولية 1904.

[58]) المؤيد، ع (4318)، 23 يولية 1904.

[59]) المؤيد، ع (4318)، 23 يولية 1904.

[60]) المرادي: الجنى الداني، ص396.

[61]) المؤيد، ع (4321)، 26 يولية 1904.

[62]) المؤيد، ع (4318)، 23 يولية 1904.

[63]) المؤيد، ع (4319)، 24 يولية 1904.

[64]) ابن منظور: لسان العرب، مادة (جحفل).

[65]) المؤيد، ع (4318)، 23 يولية 1904.

[66]) المؤيد، ع (4318)، 23 يولية 1904.

[67]) المؤيد، ع (4319)، 24 يولية 1904.

[68]) المؤيد، ع (4318)، 23 يولية 1904.

[69]) المؤيد، ع (4320)، 25 يولية 1904.

[70]) المؤيد، ع (4321)، 26 يولية 1904.

[71]) المؤيد، ع (4319)، 24 يولية 1904.

[72]) المؤيد، عدد 2 أغسطس 1904.

[73]) حاتم عبيد: في تحليل الخطاب السجالي (تعقيب عبدالرازق بنور على كتاب "أهم نظريات الحجاج... أنموذجًا)، فصول (75)، شتاء-ربيع 2009، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص169.

[74]) المؤيد، عدد 9 أغسطس 1904.

[75]) ابن منظور: لسان العرب، مادة (هذر).

[76]) ابن منظور: لسان العرب، مادة (هذي).

* حصلت على أعداد صحف الأهرام والمقطم والمؤيد واللواء من دار الكتب والوثائق القومية بمصر؛ حيث تحتفظ بها في شرائط ميكروفيلم، وأرقام الأعداد وتواريخها موثقة في مواضع الاستشهاد بها في الدراسة.